

جمعية تراث الاجيال - عين الناقة



مجلة تراث الزيبان

أعمال الملتقى الوطني الاول حول

التراث في منطقة الزيبان

مجلة علمية سنوية تعنى بالابحاث الاثرية والتاريخية والتراثية تصدرها جمعية تراث الاجيال-عين الناقة- بسكرة.

العدد الاول - 2016م

جمعية تراث الاجيال – عين الناقة

مجلة تراث الزيبان

اعمال الملتقى الوطني الاول حول:

"التراث في منطقة الزيبان"

يومي 28 و29 ديسمبر 2015م بقاعة الفكر والادب احمد رضا حوحو بدار الثقافة بسكرة.

نظم تحت رعاية السيد والي ولاية بسكرة وبإشراف المجلس الشعبي الولائي بسكرة

بالتنسيق مع مديرية الثقافة لولاية بسكرة وجمعية تراث الاجيال - عين الناقة

الطبعة الاولى 2016م

الجهة المنظمة: جمعية تراث الاجيال بالتنسيق مع مديرية الثقافة لولاية بسكرة

جمعية تراث الاجيال ممثلة برئيسها. ومديرية الثقافة ولاية بسكرة ممثلة عن المدير رئيسة مصلحة التراث الثقافي.

الكتابة والامانة والمراجعة: د. حاجي ياسين رابح

ملاحظة مهمة: الافكار والاخطاء العلمية الواردة في الدراسة والبحث مسؤولية صاحبها وملزمة له.

رئيس الملتقى ورئيس اللجنة العلمية:

الأستاذ الدكتور ياسين رابح **حاجي /** معهد الاثار، جامعة الجزائر 2.

أعضاء اللجنة العلمية :

1- أ. د. سليم **دريسي /** معهد الاثار، جامعة الجزائر 2
2- د. عز الدين **بلكحل /** جامعة بسكرة.
3- د. عبد الهادي **عماري /** المدرسة الوطنية العليا للري البليدة.
4- أة. حميدة **فورالي /** جامعة لونيسي البليدة 2، العفرون.
5- أ. السعيد **تريعة /** جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.
6- أ. عبد القادر **لعريبي /** المدرسة الوطنية العليا للفلاحة، الجزائر.

اللجنة المشرفة:

1- أ. عمر **بوستة /** نائب رئيس المجلس الشعبي الولائي بسكرة.
2- د. عمار **موسي /** نائب رئيس المجلس الشعبي الولائي بسكرة.
3- أ. عبد الرزاق **ضحوة /** نائب رئيس المجلس الشعبي الولائي بسكرة.

اللجنة التنظيمية :

1- السيد جمال **هراكي /** جمعية تراث الأجيال.
2- السيد رمضان **قطاية /** جمعية تراث الأجيال.
3- السيد عبد الحفيظ **شعبان/** جمعية تراث الأجيال.



كلمة رئيس جمعية "تراث الأجيال"

من رمز وجودها وسمو أهدافها فضلت "**تراث الأجيال**" -هذه الجمعية الفتية وتحت رعاية كريمة من السيد **والي ولاية بسكرة**، وإشراف المجلس الشعبي الولائي بسكرة، بالتنسيق مع مديرية الثقافة لولاية بسكرة- ، ان يكون "التراث" بشقيه المادي والمعنوي محور أول ملتقى وطني تنظمه يومي **28 و29 ديسمبر2015م** بدار الثقافة احمد رضا حوحو تحت عنوان :"**التراث في منطقة الزيبان**".

فهذا الملتقى يجمع بين ما خلفت الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة وبين التاريخ والسفر في الجغرافية ضمن إقليم الزيبان الذي تباينت حدوده من فترة إلى أخرى وبقت منجزات إنسان المنطقة المادية والمعنوية شاهدة بحاجة إلى الدراسة والحفظ والتثمين وتوظيفها في خدمة التنمية الوطنية. وهذا من صميم أهداف جمعيتنا المتواضعة "تراث الأجيال".

عرفت منطقتنا -حسب بعض الباحثين- بعد الفتوحات الإسلامية باسم "الزاب" وجمعها زيبان ويرى البعض أن نوميديا القديمة أصبحت تعرف بالزاب على عهد العرب. وأطلقت تسمية الزاب وجمعها زيبان على المنطقة التي حول بسكرة وطولها 125 ميلا تقريبا من الغرب إلى الشرق وما بين 30 و40 ميلا من الشمال إلى الجنوب، وهو سهل منبسط من الشمال إلى الجنوب يتلاشى شيئا فشيئا في الجنوب حتى يندرج في الصحراء، ولكن أسباب الاتصال بينه وبين منخفض الحضنة وهضاب قسنطينة ميسرة من خلال الفرجة التي تقوم بين تلال الزاب وتلال الاوراس (القنطرة).

وتباينت حدود الزاب عبر المراحل التاريخية، وللتراث معنى ثري لا ينضب من المعرفة، ومصدر الهوية. والتراث في الحضارة بمثابة الجذور في الشجرة، وكلما غاصت وتفرعت الجذور كانت الشجرة أقوى وأثبت وأقدر على مواجهة تقلبات الزمن. ومن الناحية العلمية، هو علم ثقافي قائم بذاته يختص بأحد قطاعات الثقافة، ويُلقي الضوء عليها من زوايا أثرية وتاريخية وجغرافية واجتماعية ونفسية، ويعنى بكل ما بقي على الأرض من دلالات حضارية وأطلال أثرية ترجع إلى العصور الماضية. أما التراث الحضاري، فهو «نتاج الحضارات من فترة ما قبل التاريخ مروراً بالحضارات المختلفة في مختلف المناطق وصولاً إلى ما يُسمى اليوم فترة التراث الشعبي».

وانطلاق مما سبق ذكره، يسر جمعية "تراث الأجيال" أن تستقبل باحثين وأساتذة في مختلف التخصصات من جامعات ومركز بحث من مختلف أنحاء القطر الوطني إضافة إلى المهتمين بالتراث، ليكون اهتمامنا بالتراث ليس مجرد شعار تحمله تسمية جمعيتنا، بل واقع مجسد نسعى للمساهمة في الحفاظ عليه وتثمينه.

علية علي رئيس جمعية "تراث الأجيال"

كلمة رئيس الملتقى



بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على اشرف الخلق سيدنا محمد عليه ازكى الصلاة والتسليم (صلى الله عليه وسلم) وعلى اصحابه الميامين ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين. اما بعد:

سيدي الوالي ولاية بسكرة المحترم، سيدي رئيس المجلس الشعبي الولائي المحترم، السادة نواب المجلس، سيدي مدير الثقافة لولاية بسكرة المحترم، سيدي رئيس جمعية تراث الاجيال المحترم، سيداتي وسادتي الافاضل، من زملاء أساتذة، وابنائي الطلبة والاعلاميين، والحضور الكريم.

يعتبر التراث من مقومات الشعوب المتحضرة حيث تُولِيه اهتمام كبير يضاهي الاهتمام في المجالات الحياتية الاخرى مهمة كالاقتصاد والسياسة، و...الخ. نستطيع قياس تحضر ووعي مجتمع ما من خلال اهتمامه بتراثه سواء اكان مادي او لا مادي، ابتداء من دراسته وتثمينه ثم ادراجه في الحياة اليومية للاستفادة منه للسير قدما نحو التطور والازدهار ان شاء الله، فدولتنا ولله الحمد، ماشية في هذا الخط بكل قناعة من خلال السياسة المنتهجة من طرف الوزارة الوصية المكلفة بحمايته وحتى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي المكلفة بدراسته، لكي نتمكن من ايصاله الى الاجيال المستقبلية، من خلال اقامة المواعيد العلمية الثقافية كهذا الملتقى، والذي نحن بصدد القيام به للخروج بتوصيات بناءة لخدمة العباد والبلاد.

يأتي الحديث عن التراث بشقيه المادي واللامادي انطلاقا من المخلفات المتوارثة الى يومنا من جيل الى جيل، اي منذ الفترات الغابرة في الزمن اي منذ فترة ما قبل التاريخ وفجر التاريخ الى يومنا مرورا بالفترة التاريخية من فترة ليبية-بونية ثم فترة رومانية المتمثلة في الفترة الوثنية والفترة المسيحية، ثم تليها الفترة الوندالية ثم تليها الفترة البيزنطية، وصولا الى الفترات الوسيطة من فترة الفتوحات ثم الدويلات الى الفترة العثمانية ثم بعدها الفترة الاستعمارية واخيرا فترة الاستقلال. ولهذا وجب علينا نحن كباحثين وكمسؤولين وكمجتمع مدني الوقوف وقفة رجل واحد للتصدي للعولمة التي تعمل على محو اصولنا وتراثنا كل في منصبه ونفوذه وقدراته لحفاظ على موروث اجدادنا الغني بالامجاد والبطولات والتضحيات من اجل الشخصية الجزائرية الاصيلة البناءة والمبدعة على مر العصور.

تم اقتراح موضوع الملتقى انطلاقا من واقع فرض نفسه ليحين الوقت لدراسة تراث المنطقة خاصة وانها تزدهر في كل مجالات لا سيما المجال الفلاحي وان اهتمام المنطقة من طرف الدولة جعلها مقصد الكثير من الزوار الذي يطلبون ليس فقط المظاهر الحضارية الموجودة في المنطقة من واحات واماكن للراحة والاستجمام وانما يطلبون مظاهر ثقافية تراثية تعطيهم ولو فكرة بسيطة شاملة عن تاريخ المنطقة واهم اثارها المادية كانت او اللامادية، لفهم المحيط الذين اتوا من اجله وقطعوا مئات الكيلومترات للوصول اليه. قسمنا موضوع الملتقى حسب محاور تتماشى وطبيعة الاشكالية:

ولهذا الغرض اردنا ان يكون الملتقى الوطني الاول الرافد الامين الذي سيقود ان شاء الله الابحاث المستقبلية في مجال التراث، من احصاء ودراسة وتتميط لاهم هذه المظاهر من طرف الباحثين المختصين في هذا المجال لكي يتسنى للقارئ من تجسيد فكرة واضحة عن الزخم الحضاري الذي تزخر به منطقة الزيبان. سنركز في هذا الملتقى على مواقع اثرية تحتضن ابحاث اثارية، واخرى هي موضوع ابحاث اكاديمية كرسائل ماجستير ودكتوراه، واخرى تتحدث عن التراث الشفهي الشعبي الخاص بالمنطقة من عادات وتقاليد وقصص وقصائد.

وفي الاخير، نتمنى ان تكلل نتائج هذا الملتقى بالنجاح، ومحاولة الخروج بتوصيات سهلة التجسيد تخدم التراث.

الاستاذ الدكتور ياسين رابح حاجي

معهد الاثار -جامعة الجزائر 2.



كلمة الأمين الولائي للمجاهدين لولاية بسكرة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيد الاولين والاخرين.

السيد رئيس المجلس الولائي،

السيد رئيس جمعية تراث الأجيال، ورئيس الملتقى، السيدات والسادة من الإداريين، والمنتخبين، والأساتذة الأفاضل، والأستاذات الفضيلات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدني المشاركة في هذا الملتقى الخاص بالتراث التاريخي والثقافي وبودي التطرق إلى الأهم في نظري لهذا العرض أيها الحضور الكريم.

لقد عاش الشعب الجزائري مراحل حياته الأبدية في عراك مختلف مع الذات ومع الأخر نظرا لموقعه الجغرافي في شمال إفريقيا والعالم والبحر الأبيض المتوسط وداخل مجموعاته السكنية المتماسكة والمتآزرة والمندمجة ضد الدخيل الإستدماري على الخصوص الرومان والوندال والفرنسيين وقد استقبل المسلمون وتفاعل معهم ... كالصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري ومن معه من الصحابة والتابعين، ثم الهلاليين، وقبيلتي رياح والذواودة الذين وقفوا في وجه الاستعمار الأسباني، وبقوا بساحل الجزائر من الناحية الشرقية والناحية الغربية[1]. إحداهما رابط شرق مدينة الجزائر، وبقى من هذا الجيش قبيلة تعرف باسم السخارة على مقربة من برج منايل وهي إلى حد الآن تعيش في هذا المكان محافظة على شخصيتها وعاداتها الموروثة وأسلوب حياتها. والجيش الثاني، شارك في الدفاع عن مدينة الجزائر من الجهة الغربية، وقد بقيت منه طائفة معمورة تعرف الآن بأسم ذواودة وهي قرية تحمل إسم قبيلتهم (أذواودة) في غرب مدينة الجزائر.

ففي المجال الخارجي والداخلي، نذكر أن الولي الصالح محمد بن عزوز البرجي الذي سافر مشيا على قدميه إلى أمحمد بن عبد الرحمان الأزهري إلى عاصمة الجزائر، والذي قدم من الجامع الأزهر بعد مكوثه هناك 30 سنة حاملا وشارحا للطريقة الخلدونية، فدرس وتتلمذ بين يديه، وبعد سنين قال له إني ذاهب إلى قريتي لأزور أهلي وأرجع، بعد فترة فقال له إنني مريض فإذا توفاني الله فاتصل بأبنائي في قسنطينة (باش تارزي)، وأتم دراسته وأمره بفتح زاوية، وسماها نور الصحراء، وبعد تخرج البعض على يده كالشيخ عبد الحفيظ

---

[1]- مذكرات الشيخ محمد خير الدين: الجزء الأول، ص. 44.

الخنقي وعلي بن عمر الذي صاهره بباتنة ثم توفي سنة 1818م، وبعد وصول الفرنسيين إلى بسكرة سنة 1844م، فحارب أبناؤهم ثم التحق مصطفى بن عزوز إلى نفطة بالتراب بتونس، وأقام بها زاوية، وأنجب أحد أبنائه سماه المكي وبنت سماها السعدية، فأنجبت لخضر الحسين الذي استطاع أن يرأس الجامع الأزهر، وخاله المكي بعد نضال بالجزائر وتونس حاصره الفرنسيين، فالتحق بالمشرق العربي ثم مدينة اسطنبول بتركيا الذي كلف بالتدريس ثم الإشراف على دار الفنون وتوفي ودفن بمركب يحي أفندي سنة 1915م، وترك الكتب العديدة والمساهمات التي تزيد عن المئة ورثاره العالم الجليل الشيخ الطيب العقبي الذي لم يرثى أي كان إلا المكي بن مصطفى بن عزوز، الذي قدم من السعودية، ومكث ببسكرة لمدة عشرة سنوات قفاها في المحاضرات والمقالات على صفحات الجرائد وعمل ليلا ونهارا دفاعا عن اللغة العربية، ثم انتقل إلى نادي الترقي بالجزائر قبل إنشاء جمعية العلماء وبعدها، إضافة إلى المكائد التي حيكت ضده.

2) بجاوي محمد بن الحاج الذي تخرج من معهد بن باديس ثم جامع الزيتونة سنة 1938م، فأنشأ مدرستين واحدة ببرج بن عزوز، والثانية بطولقة، وفرقتين للكشافة. وبعد ستة سنوات من العطاء، توبع كثيرا فنقلته جمعية العلماء إلى بوزريعة بالجزائر ثم بلعباس بالغرب، وبعدها عين تموشنت، وقد ألقى عليه القبض منذ أفريل 1956م، وحكم عليه بـ 20 سنة سجن مع الأشغال الشاقة، وخرج سنة 1962م وبقي يدرس فأتم سنة بثانوية الإبراهيمي، وإماما متطوعا بمسجد عبد الحميد بن باديس إلى أن تقاعد، وتوفي سنة 1992م، ودفن بتموشنت. وكرموه ببناء مسجد باسمه وشارع معتبر ويكفي فخرا ولاية بسكرة على ما حققته من تراث تاريخي هام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأمين الولائي للمجاهدين

السيد المجاهد مدني بجاوي

تقديم الملتقى:

تزخر منطقة الزيبان بتراث، عريق ضارب في اعماق الزمن، نلاحظه اليوم من خلال التراث المتوارث من الاجيال السابقة في طريقة العيش وطريقة التعامل مع الطبيعة والتأقلم معها، ومحاولة دائما وابدا التحكم فيها لحياة افضل، وذلك من استعمال احسن لمواد البناء وطريقة البناء التي تتلائم وطبيعة مناخ المنطقة، في استغلال الاراضي على اقصى نطاق ممكن من خلال استصلاحها ادخال وابتكار طرق ووسائل تسمح بإنتاج غلة وافرة تغطي احتياجات المنطقة، ولفهم هذه الميكانزمات الفعالة والتي يعود اليها الانسان اذا احس بتيه في ظل المعطيات الحديثة من عولمة اي غزو حضاري وثقافي، يرجع الجزائري الاصيل الى موروثه الحضاري -الذي يعتبر النقطة المرجعية في شخصيته وهويته الوطنية النى تميزه عن الشعوب الاخرى من العالم- للبحث والغوص في الماضي من خلال المواقع الاثرية المتناثرة هنا وهناك. لهذا الغرض نحاول من خلال هذا الملتقى الوطني ابراز المكنون الاثري للمنطقة عبر مواقعها الاثرية، من الجانب التاريخي والحضاري ثم الثقافي.

كما لا يخفى لاحد ان الدراسات الاثرية خاصة والتاريخية في المنطقة محتشمة على عكس المناطق الاخرى من الوطن، هذا لا يعني انه لا توجد دراسات يقوم بها باحثون جزائريون جامعيون، حيث نريد من خلال هذا الملتقى جمع شمل كل الباحثين مهتمين بالمنطقة لكي يتسنى لنا نحن المجتمع ان نستفيد من هذه الدراسات لمستقبل افضل .

تمتد هذه الدراسات عبر محور زمني محدد منذ فترة ما قبل التاريخ الى يومنا هذا، اي مرورا بالفترة القديمة والفترة الوسيطة (الاسلامية)، ثم الفترة الحديثة التي تضم الفترة العثمانية وفترة الاحتلال الفرنسي .

نتطرق في هذا الملتقى العلمي الى التراث بشقيه المادي واللامادي، فالمادي كل ما له علاقة بالملموس من تراث منقول وثابت، واللامادي كل ما له علاقة بذاكرة الشعوب والقبائل من كلام واشعار وقصص، و...الخ .

الاشكالية الرئيسة: محاولة الحفاظ على التراث من خلال دراسته، ثم تثمينه، ثم صيانته ثم ترميمه، واستنباط المعطيات التاريخية والاثرية والثقافية، ووضع اسس صحيحة لمفاهيم ومصطلحات علمية جزائرية بما تخدم موروثنا الحضاري، للوصول الى هوية وطنية متميزة قادرة على رفع رهانات الحاضر والمستقبل .

أهداف الملتقى:

1. هدف علمي: يتمثّل في إبراز الدراسات في مجال التراث الأثري والاستفادة من نتائجها.

2. هدف تاريخي: هو القراءة الصحيحة للأحداث التاريخية من خلال شواهدها المادية الاثرية المتمثّلة في الارث الحضاري للمنطقة.

3. هدف تربوي-ثقافي: يرمي إلى نشر الوعي بالموروث الحضاري للمنطقة من خلال النتائج المتوصل اليها، ونشرها خاصّة في المجال التربوي-الثقافي، وذلك من خلال المساهمة في ابراز الهوية والشخصية الوطنية في دمجها في مناهج المنظومة التربوية.

4. هدف تنموي-اقتصادي: يتجسد من خلال في تفعيل التراث في المجال الاقتصادي من خلال الاستغلال الراشد لموارده في إطار التنمية المستدامة.

اهم المحاور:

المحور الاول: التراث اللامادي في المنطقة.

المحور الثاني: اهم الشخصيات التاريخية في المنطقة.

المحور الثالث: دراسات تاريخية حول المنطقة.

المحور الرابع: الوضع الحالي لمتاحف المنطقة.

المحور الخامس: دراسات حول المعالم الاثرية والتاريخية في المواقع المحمية وغير المحمية.

المحور السادس: صيانة وترميم هذه المواقع الاثرية والتاريخية.

المحور الاول: التراث اللامادي في المنطقة.

تجربتي في جمع وبحث التراث اللامادي في منطقة الزيبان

أ. د. عبد الحميد بورايو[1]

قمت خلال سنة 1976م ببحث ميداني في منطقة الزيبان يتعلق بمجال التراث اللامادّي؛ يتناول موادّ القصص الشعبي، اطلعت خلاله، في رحلاتي الميدانية، على فعاليات تقاليد الرواية الشعبية في منطقة بسكرة؛ وقد قسمتها إلى ثلاثة أصناف؛ نشاط الرواة المحترفين، ونشاط الرواة شبه المحترفين ونشاط الرواة غير المحترفين. سوف أعتني في عرضي لتجربتي هذه بوصف هذه الفعاليات وبيان طبيعتها ودورها في صيانة الذاكرة وفي تفعيل التواصل الثقافي بين أفراد المجتمع، وقتذاك، وفق تقاليد متوارثة، وقواعد مرعية، يسهر على استمرارها أهل المنطقة بإمكانياتهم الذاتية بدون تدخل للمؤسسات الرسمية المعنية بالنشاط الثقافي. لقد كانت هذه التقاليد سارية منذ الفترة الاستعمارية، عملت على حفظ عناصر الهوية، وقامت كسد منيع في وجه الغزو الثقافي الاستعماري، ولعبت دورها في التنشئة الثقافية والاجتماعية لأفراد المجتمع وكان بإمكانها أن تستمرّ في ظلّ الدولة الجزائرية المستقلّة لو وجدت الرعاية والتوجيه عن طريق الصيانة والنقل للأجيال الجديدة.

سوف أتعرض في مداخلتي للتحديدات العامة المتعلقة بالتراث اللامادي، والذي تندرج فيه اهتماماتي البحثية، وما قمت به من أعمال جمع وبحث ودراسة لها صلة بتراث منطقة الزيبان. أنتقل بعد ذلك للحديث عن هذه الفعاليات كما تعرفتُ عليها في منتصف السبعينيات من القرن الماضي، وما آلت إليه بعد ذلك بفعل إهمالها وعدم وضع خطة لحفظها ونقلها للأجيال الجديدة.

1. تحديدات لما يُقصد بالتراث اللامادّي

يجدر بنا قبل كلّ شيء تحديد طبيعة الموادّ التي نحن بصدد الحديث عنه، من حيث اندراجها فيما سمّته الاتفاقيات الدولية بالتراث اللامادّي، وبالتالي لابدّ أن نذكّر بطبيعة هذا التراث، وهو حسب المادّة 2 من الاتفاقية الدولية بشأن صون التراث الثقافي غير المادّي، والمعنونة "التعاريف":

«1- يُقصد بعبارة "التراث الثقافي غير المادّي" الممارسات والتصوّرات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات –وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية- التي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءا من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي غير المادّي المتوارث جيلا عن جيل، تبدعه الجماعات

[1]- أستاذ التعليم العالي بالمركز الجامعي بتيبازة. البريد الكتروني: bourayou1950@gmail.com

والمجموعات من جديد بصورة مستمرّة بما يتّفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة والتاريخ، وهو ينمّي لديها الإحساس بهويّتها والشعور باستمراريّتها، ويعزّز من ثمّ احترام التنوّع الثقافيّ والقدرة الإبداعيّة البشريّة. ولا يؤخذ في الحسبان لأغراض هذه الاتفاقيّة سوى التراث الثقافي غير المادّي الذي يتّفق مع الصكوك الدوليّة القائمة المتعلّقة بحقوق الإنسان، ومع مقتضيات الاحترام المتبادل بين الجماعات والمجموعات والأفراد والتنمية المستدامة.

2- على ضوء التعريف الوارد في الفقرة (1) أعلاه يتجلّى "التراث الثقافي غير المادّي" بصفة خاصّة في المجالات التالية:

(أ) التقاليد وأشكال التعبير الشفهيّ، بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادّي.

(ب) فنون وتقاليد أداء العروض.

(ت) الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات.

(ث) المعارف والممارسات المتعلّقة بالطبيعة والكون.

(ج) المهارات المرتبطة بالفنون الحرفيّة التقليديّة.

3- ويقصد بكلمة "الصون" التدابير الرامية إلى ضمان استدامة التراث الثقافي غير المادّي، بما في ذلك تجديد هذا التراث وتوثيقه وإجراء البحوث بشأنه والمحافظة عليه وحمايته وتعزيزه وإبرازه ونقله، لا سيما عن طريق التعليم النظامي وغير النظامي، وإحياء مختلف جوانب هذا التراث»[2].

انطلاقا من هذه التعاريف يمكن القول بأنّ "التراث غير المادّي" يتعلّق بعدّة مجالات للنشاطات البشريّة في حياتها اليوميّة والعامّة، ونذكر هنا التصنيف الذي وضعه خبير اليونسكو في التراث اللامادي عبد الرحمن أيوب؛ ويتمثّل في[3]:

أ- **الفعل.**

ب- **القول.**

ت- **الإدراك.**

ث- **التجسيدات.**

---

[2]- نص الاتفاقية، المُحَرَّر في باريس بتاريخ 17 أكتوبر 2003م.

[3]- عبد الرحمان أيوب، دليل مسير أنظمة الكنوز الإنسانية الحية بالمغرب العربي، نواكشوط، موريطانيا، 2007م.

وهي جميعا ممارسات إنسانية تتعلّق الأولى (الفعل) بما تتقنه الأيدي من مهارات تنتقل عن طريق التعليم والتكرار والممارسة اليدويّة المستدامة وتكون الموادّ التي يُمارس عليها التشكيل والقولبة متمثّلة في المواد الطبيعية من خشب وحديد ونحاس وجلد وصوف وقماش وصلصال الخ...

وتتناول الثانية الممارسات اللسانية وخاصة اللهجات في تنوّعها وتفاعلها وتعبيرها عن حياة الإنسان وعواطفه وتصوراته، وكذلك فنون القول الشعبية والمسماة بالأدب الشعبي مثل الشعر والحكاية والمثل واللغز الخ.. وتتمحور الثالثة حول مُدْرَكَات الذهنية الجمعية للعوالم الأخرى وهي مُدْرَكَات تتعلّق بتصوّر الإنسان لعوالم موازية لعوالمه، فيلجأ في التعامل معها إلى فعل القول (التعبير اللساني) وتفعيل موادّ الطبيعة لإنتاج الروائح (البخور والأدخنة مثلا) والتقنّع بهيئات حيوانيّة وممارسة ألعاب تنكّريّة في إطار طقوس دورية أغلبها يتعلّق بالحياة الزراعيّة. الخ.. أمّا الرابعة فتتجسّد خاصة في العلامات (أو الرموز) والأداءات اللعبيّة (المتعلقة بألعاب المنافسة والتباري). يمكن تقسيم العلامات التي لها دلالاتها في حياة الناس وفق مجالات متعدّدة من بينها طبيعة المواد التي تحمل هذه الرموز والمناسبات التي تظهر فيها وطبيعتها الثقافية(وشم، حروف، خطوط متقاطعة أو معقوفة وأشكال هندسية مغلقة، تخضيب بالحناء وفق أشكال معينة لمواقع جسدية بشرية أو حيوانية الخ..) أو الطبيعيّة (الكونية) وأشكالها البشرية (كصور أعضاء الجسد مثل اَلْخُمْسَة وَالْعَيْن وغيرها) أو الحيوانية (من مكونات جسد الحيوان كالناب أو الظفر أو الشعر الخ..) أو النباتية أو الكونية الخ.. أما التجسيدات اللعبيّة فتتمثل في الممارسات بقصد الترفيه وتزجية الوقت وشحذ الذكاء العملي وتربيته، والتعبير عن الطاقة الجسدية وعن إتقان المهارات الحركية وتحقيق الذات من خلال التباري ولفت انتباه الآخر والتواصل معه.

تمّ الفصل بين هذه المجالات بغرض فهمها انطلاقا من طبيعتها الفكرية ومرتكزاتها النظريّة، وبهدف تسهيل عملية التصنيف والدراسة، ويجدر أن نشير إلى تداخلها فيما بينها، وممارستها تكون عادة بالجمع فيما بينها؛ فالقول كثيرا ما يصحب الفعل، والتجسيدات الحركية تعبر عن مدركات تصوريّة، وتصاغ المُدرَكات في قوالب لغوية ورمزية الخ..

2. تجربتي البحثية في منطقة الزيبان:

يتمثّل التراث الذي اعتنيتُ به في تجربتي المتعلقة بالقيام ببحث ميداني[4] بالممارسات الثقافية الثانية في الترتيب المشار إليه آنفا والتي تنضوي تحت عنوان "**القول**". كان الهدف من العمل الميداني جمع التراث

---

[4]- نشرت نتائج البحث في كتابي: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ط1: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ط2: وزارة الثقافة، الجزائر، 2008م.

القصصي في منطقة بسكرة التي كانت تضمّ حينها إلى جانب منطقة بسكرة منطقة وادي سوف. تركزت عنايتي بِرواة المأثور السردي، غير أنّ طبيعة العمل الميداني وظروفه وقتذاك دفعتني إلى الاهتمام بأصناف أخرى من "القول" تمثلت في الشعر الشعبي ورواته وممارسي إبداعه.

1.2. رواة القصص الشعبي في سيدي خالد:

وجدتُ في بلدية سيدي خالد (دائرة أولاد جلال) في سنة 1976م عددا هاما من رواة الحكاية من مختلف الأعمار، والمنتمين لأوساط اجتماعية متنوعة، بعضهم يمارس الفلاحة وبعضهم الآخر يمارس التجارة ومنهم الشيوخ المتقاعدين والتلاميذ في المدارس. منهم المتعلمين ومنهم الأميين؛ كنتُ أجمعهم من حين لآخر في فضاء بيت للمرحوم أحمد دلول في الدشرة، التي كانت تمثل نواة المدينة وحيّها القديم، وأطلب من بعض الحاضرين رواية حكاية خرافية أو أحداثا كانوا يعتقدون أنها تاريخية تتعلق بالمنطقة أو بحياة أسلافهم وخاصة قبيلة بني هلال التي ينحدر منها عدد كبير من سكان المنطقة. سجلت مرويات صنفتها إلى:1- حكايات شعبية. و2-حكايات خرافية. و3- حكايات بطولية.

تمثل الحكايات الشعبية الصنف الأكثر بروزا والذي يمكن أن يرويه الجميع، في أي وقت من اليوم، وفي أي مكان ولا يتطلب حضور جمهور، بل يمكن أن يرويه شخص لآخر من أجل ضرب المثل أو بهدف التسلية وتزجية الوقت، وهو يتناول موضوعات الحياة اليومية، وله صلة وطيدة بفلسفة الحياة والنظرة إلى العلاقات الاجتماعية والقيم التي يقتنع بها الناس ويكرسها المجتمع، وله صلة كبيرة بالمعتقدات. يتميز بالقصر أو بالطول المتوسط، وينتقل عن طريق الرواية الشفوية. يعبّر عن الحياة النفسية والعلاقات الاجتماعية، لا يخضع لإطار نمطيّ مثلما هو الحال بالنسبة للأنماط الأخرى.

تعكس الحكاية الخرافية رؤية أسطورية للكون وللوجود البشري وتقابل بين عالمين؛ عالم بشري وعالم آخر مسكون بالوحوش الخرافيّة والكائنات الخفية، محمّلة بالرموز التي تقابل بين ما ينتمي للطبيعة وما ينتمي للثقافة. تحمل قيما اعتقادية بائدة تعود إلى عصور موغلة في القدم. تنتصر للإنسان وتشيد بذكائه وقدرته على ترويض الطبيعة وتحويلها لخدمته، تعكس رهبته ومخاوفه من قساوة المحيط الطبيعي ومن المجهول. تشيد بالقيم الاجتماعية السائدة وبالعلاقات الأسرية المسيطرة على الأسرة الذكورية (البطرياركية)، وتنبذ القيم المخالفة لها (المتعلقة بقيم الأسرة الأموسية "الماطرياركيّة"). ترويها عادة النساء في البيوت للأطفال. غير أن بعض الرجال يروونها للتسلية في الأماسي. لها طقوسها النمطية بحيث تُؤَدَّى ليلا ويحضرها الأطفال ويستمتعون بها، وينامون على روايتها.

تتفرع حكايات البطولة إلى نوعين رئيسيين هما: أ-قصص البطولة الدينية. ب-قصص البطولة البدوية. تتجسد الأولى في نوعين فرعيين هما: أ-المغازي. ب-قصص الزهاد والأولياء بينما الثانية يُقصد منها السيرة البطولية، وقد عرفت منطقة الزيبان سيرتين بطوليتين كانت روايتهما منتشرة فيها هما سيرة عنترة وسيرة بني هلال.

ما كان يروى في سيدي خالد بخصوص قصص البطولة سيرة خالد بن سنان العبسي وقصص الأولياء المحليين، أما بقية الأنواع فقد سجلتُ بعض الإشارات إلى وجود أدائها سابقا عندما كانت الأسواق تُقام ويأتيها الرواة المحترفون من كل صوب (المداحون)، وخاصة بمناسبة سوق يوم 26 من شهر رمضان، وهي ذكرى مرور ركب الحجيج بالبلدة في هذا التاريخ، وقد أصبحت هذه المناسبة موعدا دوريا (سنويا) يشكل مناسبة اقتصادية وثقافية لها مكانتها في حياة منطقة الزيبان.

2.2. ممارسة الرواية المحترفة في ولاية بسكرة في منتصف السبعينيات من القرن الماضي:

يروي عادة الرواة المحترفون أو من يسميهم المجتمع "المدّاحين" قصص البطولة بتنوعاتها، وقد استمعت إليه في أسواق بسكرة وطولقة ووادي سوف. كان المداحون يترددون على سوق "الحشيش" في ضاحية بسكرة القديمة، وكان من بينهم مداحيْن يحملان نفس اللقب، وهو " بن علي"، أحدهما كان ضريرا، وكانوا يجمعون حولهم رواد حلقاتهم في الفترة الصباحية من النهار، وكثيرا ما كانوا يتناوبون فيما بينهم في أداء الروايات ويتقاسمون ما يحصلون عليه من هبات أثناء الرواية في لحظات التوقف عن الأداء وحث الناس على المساهمة في دفع مقابل عملهم. أما في وادي سوف فقد كان "قدور السوفي" الملقب بـــ"بوحباكة" يؤدي لوحده رواية قصص البطولة ويرفقها بالغناء وبرواية قصص الحيوان وأشكال أخرى من الروايات السردية والأحاديث، وكان يلقى إقبالا كبيرا من جمهور الشباب والأطفال.

كان المداحون في ممارستهم لرواية القصص يستخدمون الآلات الموسيقية فيؤدون بعض المسرودات القصصية غناء. كانوا يستعملون القصبة والبندير على الخصوص. وقد دلّني البعض على راوٍ كان معروفا في وادي سوف لكنه اعتزل الأداء في السوق وأصبح يؤم حيّه في الصلوات الخمس في المسجد بالصحن، وهو المسمى "العيد النوبلي"، وكان ضريرا، فقصدته في بيته وسجلت منه عددا من المغازي والقصص الديني الذي كان يحمله ويرويه، وكان ينشط الأعراس في حيّه بالمدينة عن طريق رواية قصة سيدنا يوسف أمام النساء، وكان عازفا جيّدا على آلة الربابة (كمنجة مهجّنة تُستخدم فيها أوتار آلة الربابة القديمة يتم تثبيتها على هيكل كمنجة حديثة) التي تصاحبه في أداءاته الفنية.

المحور الثاني: أهم الشخصيات التاريخية في المنطقة.

بسكرة عروس الزيبان

أة. حبة ربيعة العدوية[1]

تعريف الزاب:

جاء في كتاب "لسان العرب" لابن منظور بخصوص كلمة الزاب أنها تعني الزُبْيَة أو الزَابِيَة التي لا يعلوها الماء، كما أن هناك بعض الروايات تقول أن كلمة "**الزاب**" أطلقت على مناطق في العراق وبعض جهات وأنهار ببلاد المغرب، ويعرف "الزاب" على انه الكورة الكبيرة، كما يعرف بأنه نهر بأرض المغرب (بين مدينة تلمسان ومدينة سجلماسة بالمغرب)، لذا يتضح لنا مما سبق أن التسمية "الزاب" أطلقت على مدينة بسكرة، إما لكثرة نخيلها ونباتها أو لغزارة مياه وادها الذي ينحدر من جبل الأوراس[2].

أما كلمة "الزيبان" فهي ربما تحريف لكلمة الزبيان أو الزوابي، ولقد اختلف الجغرافيون القدامى في تحديد نطاقه، فحسب "ياقوت الحموي" فالزاب يشمل مناطق: بسكرة، وتوزر، وقسنطينة، وطولقة، وقفصة، ونفطة وبادس[3]. أما في كتاب "الاستبصار" فذكر أن بلاد الزاب تقع على طرف الصحراء فسميت بلاد الجريد غير أن "القلقشندي" قال أن بلاد الزاب هي مدينة من مدن بلاد الجريد في إفريقيا، أما المقدسي قال أن مدينة الزاب تبدأ من مسيلة وتتبعها مقرة، وطبنة، وبسكرة، وبادس، وتهودة، وطولقة، وجميلا، وبن طيوس، وأدنة أشبير.

وقد عرف العلامة ابن خلدون في كتابه "ديوان العبر" كما يلي: "بأنه وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا، وقد سبق له أن أوصل عددها مئة قرية" ثم تنبه إلى أن كل قرية يطلق عليها لفظ الزاب إضافة إلى الرسم الخاص بها ثم عدد ابن خلدون من الزيبان ما يلي:

زاب الدوسن، وزاب طولقة، وزاب مليلي، وزاب بسكرة، وزاب تهودة، وزاب بادس، ثم قال: وبسكرة ام هذه القرى كلها. ولم يقتصر ابن خلدون على ذكر الزيبان السنة فقط بل انه ذكر عدد من قرى بسكرة كانت موجودة في عهده واندثر اغلبها او تغير اسمها فأول تلك القرى "تنومة" وهي القرى المندثرة فقد قرنها ابن خلدون الى بادس، وما تزال الى حد الآن قرية صغيرة من قرى الزاب الشرقي تدعى القصر مجاورة لبادس، فلعلها هي تنومة. ثاني القرى هي قرية مليلي، وهي ما زالت قائمة الى حد الآن، وهي من قرى الزاب الغربي وربما هي نفسها القرية التي سماها ابن خلدون زاب مليلة. وثالثا تلك القرى قرية حباس،

---

[1] - رئيسة مصلحة التراث بمديرية الثقافة لولاية بسكرة.

[2] - ابن المنظور، لسان العرب، دار المعارف، ص ص. 1799-1803.

[3] - ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1979م، ص. 123.

ويبدو أن هذه القرية قد اندثرت، إلا أن الشيخ عبد المجيد حبة أبدى احتمالا مفاده أنها قد تكون قرية فلياش الحالية. ورابع تلك القرى قرية ماشاش، وقد وصفها ابن خلدون بأنها ملتصقة بمدينة بسكرة وهي اليوم بائدة، ولا يعرف محل آثارها. غير أن الشيخ عبد المجيد حبة، ظن أن محلها حي لبشاش الحالي أحد أحياء بسكرة القديمة. وخامس تلك القرى قرية أوماش، وهي لا تزال قائمة في طليعة الزاب الغربي. أما سادس هذه القرى هي قرية فرفار، إحدى قرى الزاب الظهراوي حاليا، وهناك بلدة أخرى تعرف باسم غريبوا وهي من الزيبان البائدة التي تفرد ابن خلدون بذكرها[4].

تعريف بسكرة:

ظلت التسمية الحقيقية لمدينة بسكرة محل خلاف بين المؤرخين العرب والأجانب، فمنهم من رأى أن اسمها ينحدر من كلمة "فيسكيرة VESCERA" الرومانية والتي تعني "المحطة التجارية"، والبعض الآخر منهم مثل زهير الزاهري الذي رأى أن أصل التسمية من كلمة بسكرة هي "سكرة" بنية لحلاوة تمورها وعذوبة مياهها. كما يعتقد البعض الآخر، أن التسمية الحقيقية لها هي "أد بيسكينام Ad piscinam" وهي كلمة رومانية أيضا تعني "المنبع المعدني" المسمى حاليا حمام الصالحين[5].

الفتح الإسلامي لمنطقة بسكرة:

في القرن السابع الميلادي/الأول الهجري تمكن القائد عقبة بن نافع فتح إفريقيا من ضمنها ولاية بسكرة وطرد الحاميات الرومانية منها، وشاء القدر أن يستشهد هذا القائد مع 314 شهيدا سنة 63هـ، بعد تحالف كسيلة مع البيزنطيين في منطقة قرية تهودة قرب مدينة سيدي عقبة التي تحمل اسمه وبها ضريحه وتبعد على عاصمة الولاية بـ 18 كلم. وقد تعاقب على هذه الولاية في العهد الإسلامي عدة دويلات منها (زاب سياسيا).

كانت بسكرة في فترة حكم الولاة في زمن الفتح او الدويلات، وهي: الدولة الأغلبية (182/ 296هـ)، والدولة الفاطمية (296م/ 363هـ)، والدولة الموحدية (524م/ 668هـ)، والدولة الحفصية (626م/ 981هـ)، ففي القرن السابع هجري، كانت تنحاز في بعض الأوقات إلى دولة بني زيان[6]. وأخيرا، الدولة العثمانية (1541م / 1844هـ).

---

[4]- ابن خلدون، كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج. 13، ص. 108.

[5]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج. 1، بيروت، 1965م.

[6]- تريعة، السعيد، نشآت الري القديمة بالتخوم الأوراسية الجنوبية، رسالة ماجستير في الاثار القديمة غير منشورة، معهد الاثار، جامعة الجزائر، 2009م.

منطقة بسكرة في العهد الاستعماري:

لم تتمكن القوات الفرنسية من احتلال مدينة بسكرة إلا في مارس 1844م بعد مقاومة شديدة وعنيفة من طرف الأهالي، ولم تتمكن أيضا من إخضاع المنطقة لسيطرتها، حيث قامت عدة ثورات شعبية محلية نذكر منها: ثورة الزعاطشة في سنة 1849م بقيادة الشيخ بوزيان. وثورة سيدي الصادق بالحاج في سنة 1849م بقيادة الشيخ سيدي الصادق بالحاج. وثورة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في سنة 1849م بقيادة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي. وثورة العامري في سنة 1876م بقيادة محمد بن يحي بن محمد. ثم الثورة التحريرية الكبرى في أول نوفمبر 1954م شاركت الولاية في سدس التفجيرات الأولى ليلة الفاتح نوفمبر بتفجير وتخريب المنشآت الفرنسية، فأنجبت العقيد سي الحواس، والعربي بن مهيدي، والعقيد محمد شعباني ادريس عمر عاشور زيان، وحدثت بها عدة معارك طاحنة واستشهد آلاف المواطنين مدة 07 سنوات ونصف.

حواضر الزيبان:

- **تهودة:** مدينة بربرية (مورية) تقع في خط الليمس الروماني، استشهد بها القائد عقبة ابن نافع الفهري بمعية 314 مجاهد.
- **القنطرة:** تقع في المدخل الثاني للولاية بها رائعة من روائع الطبيعية، وهي منعرجات ومضايق جبل متليلي المصنفة الدشرة الحمراء، والجسر الروماني اقدم جسور إفريقيا.
- **خنقة سيدي ناجي:** تعتبر منبر للعلم والعلماء مدينة النخيل والسلاطين العثمانيين، بها مسجد عتيق "مسجد سيدي مبارك" والعديد من الزوايا والمعالم التاريخية العلمية.
- **أورلال:** أهم المناطق الأثرية بالولاية بها موقع القصبات التاريخي قصور صنهاجة ضريح ابو زاهر بن جرين، وشلالات أورلال.
- **شتمة:** بها العديد من السواقي وكذلك قصر وجامع عتيق سيدي مسعود وضريح لالة الصافية.
- **سيدي عقبة:** تبعد عن بسكرة بـ 18 كلم بها مسجد وضريح عقبة بن نافع الفهري الذي أصبح الآن مركب إسلاميا وبها تحفة باب طبنة الأثري والعديد من أضرحة الصحابة.
- **سيدي خالد:** من البلديات الكبيرة والهامة بالولاية تبعد عنها بـ 107 كلم بها مسجد سيدي خالد الذي يعتبر أهم المعالم التاريخية والمواقع الأثرية كذلك ضريح حيزية ملهمة الشعراء والمحبين.
- **جمينة:** كلمة امازيغية بمعنى البحث عن الشيء تقع ضمن سلسلة جبل احمر خدو تبعد عن مقر الولاية بــ 100كلم بها اثار لقرية قديمة ومناظر طبيعية خلابة، وهي منطقة مصنفة تراث وطني ثقافي.

المحور الثالث: دراسات تاريخية حول المنطقة.

التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي

أ. د. علاوة عمارة[1]

بعد سلسلة من الحملات والعمليات العسكرية التي عرفتها الجهة الشرقية من بلاد المغرب في أواسط القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، انخرطت منطقة الزاب تدريجيا في الفلك السياسي للخلافة الأموية في ظروف غامضة. جاء هذا الحدث بعد حدوث قطيعة مجالية مع الماضي الروماني في المنطقة بعدما فقدت نوميديا مركز ثقلها في الشمال (قسنطينة) لينتقل إلى طبنة تحديدا. فبعد الإشارة إلى بعض المدن والحصون في بلاد الزاب على غرار أدنة وتهودة في روايات "الفتح"[2]، سرعان ما طغى طبونيم الزاب على المنطقة الممتدة من خرائب هاز غرب المسيلة إلى غاية تهودة وبادس دون أن نعرف سر اختفاء كلمة نوميديا وحلول الزاب مكانها لكن للدلالة على مناطق واقعة جنوب جبال الأوراس. فهل استمد الزاب تسميته من المدينة البيزنطية (Zabi Justiniana) الواقعة بالقرب بالمسيلة؟ من الصعب الإجابة على هذا التساؤل خصوصا إذا علمنا أن نفس الكلمة مستعملة للدلالة على إقليم واقع بالعراق. كل ما في الأمر أن كلمة الزاب وجدت طريقها في التقسيم الإداري الأول وأصبحت مقاطعة إدارية بقاعدتها طبنة وبمدنها خصوصا نقاوس وأدنة وبسكرة. شكلت بلاد الزاب نقطة ارتكاز أساسية لإبراهيم بن الأغلب عند وصوله لقيادة ولاية إفريقية، حيث نجح في بسط نفوذه انطلاقا من وسط تنتشر به جماعات اباضية نكارية بصفة خاصة.

الزاب من الداخل: شهادة اليعقوبي[3]

عرفت كلمة الزاب استعمالا للدلالة على مقاطعة إدارية في الروايات المتعلقة بانتشار الاباضية والصفرية وصراعهما ضد السلطة الأموية بالقيروان في الربع الأول من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي[4]، وهذا تزامنا

---

[1]- استاذ التعليم العالي/ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة. البريد الالكتروني: amara.allaoua@yahoo.fr

[2]- منها ما نقله ابن الحكم: "فانصرف (أي عقبة) إلى إفريقية... فأخذ على مكان يقال له تهوذة، فعرض له كسيلة بن لمزم في جمع كثير من الروم والبربر، وقد كان قد بلغه افتراق الناس عن عقبة، فاقتتلوا اقتتالا شديدا، فقتل عقبة ومن كان معه، وقتل أبو المهاجر وهو موثق في الحديد..." ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1995، ص. 226.

[3]- سبق وأن نشر معظم هذا النص في مقال "الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 10، 2009، ص ص. 09-27.

[4]- أول إشارة إليها كان في معرض الحديث عن ثورة الصفرية والاباضية ضد كلثوم بن عياض في عام 124هـ/741م. خليفة بن خياط، كتاب التاريخ، تحقيق مصطفى نجيب فواز وكشلي فواز، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995، ص. 230.

والتقسيم الإداري لولاية إفريقية الأموية. وهذا التحديد الجغرافي نجده أثره بارزا في النصوص الوصفية والفقهية، على غرار ما ذهبت إليه الكتابات الفقهية التي نسبت للفقيه محمد سحنون عملية تحديد مجالات إفريقية بطرابلس شرقا وطبنة غربا، مما يضعنا أمام مقاطعة تابعة إداريا لإفريقية، رغم هيمنة الجماعات الزناتية على مجالاتها الريفية.

ليس بحوزتنا نصوص مباشرة عن مقاطعة الزاب خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي والنصف الأول من القرن الموالي، ولعل شهادة الجغرافي اليعقوبي (284هـ/897م)[5] القادم من بغداد العباسية هي أول معين لنا في معرفة الخريطة المجالية والبشرية لمقاطعة الزاب خصوصا الفضاء البسكري، فمن الناحية البشرية، هناك تعدد كبير في العناصر والجاليات المستقرة بقصور ومدن الزاب، حيث يبرز بصورة جلية الانتشار الواسع للأفارقة والروم بمدن طبنة (Thubunae) وباغاي (Bagai, Vagaia) ومدن وواحات بسكرة. وهذه المعلومات تترك انطباعا واضحا باستمرار الأفارقة كبقايا للثقافة اللاتينية بمسيحيتها الرومانية كشاهد على حجم تغلغل الثقافة الرومانية في منطقة الزاب واعتناق بعض العناصر المحلية لها[6]. في المقابل، هناك تواجد للجاليات البيزنطية المعروفة باسم الروم في الأدبيات اليونانية والعربية، مما يعطي فكرة مهمة عن الأهمية التي أعطيت للمنطقة، خصوصا وأن إحدى مدنها زابي جستنيانا (Zabi Justiniana) (أو بشليقة عند البكري) تحمل اسم إمبراطور القسطنطينية، صاحب مشروع إحياء مجد روما القديم في الحوض الغربي للبحر المتوسط. لقد شكل العنصر العربي والفارسي الوافد في صورة قبائل الجند المركب البشري الثالث لمدن الزاب كما يشير إلى ذلك اليعقوبي، مما يعطي لنا في النهاية مدن متعددة العناصر البشرية والديانات في مواجهة ريف محلي (بربري) معتنق لإسلام إباضي مرتبط أساسا بالأئمة الرستميين في تاهرت. كما يدل أيضا على عملية سيطرة بالقوة لهذه الجماعات مما يدحض فكرة "الصلح" التي دافعت عنها بعض الكتابات الفقهية.

من الناحية الطبونيمية نلاحظ استمرارية واضحة لمعظم الطبونيمات القديمة مع عملية تعريب لها على غرار بسكرة (Vescera) وتهودة (Thabudeos) وبادس (Bades)، مما يعطي لنا مؤشرا على استمرارية الاستيطان البشري في هذه المناطق رغم الهزات التي تعرضت لها.

قرن بعد ذلك يأتي كتاب "مسالك إفريقية وممالكها" لأبي عبد الله محمد بن يوسف الوراق (363هـ/973م)، الذي نسخه الجغرافي الأندلسي البكري (487هـ/1094م) في كتابه الموسوم ب"المسالك والممالك" مع تطور في المعطيات الدلالية والثقافية. فخلال وصفه للطريق الرابط بين مدينة القيروان وقلعة أبي طويل (أي قلعة بني حماد)، تطرق إلى العناصر الاجتماعية المستقرة بمدن الزاب انطلاقا من سلسلة جبال الأوراس بإشارته لمدن

---

[5] - كتاب البلدان، نشر M. J. De Goeje ، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، 1992، ص. 350.

[6] - لقد كان لمصطلح الأفارقة نقاش كبير من حيث المدلول في عدد من الدراسات منها: MARÇAIS, G., « La Berbérie au IXe siècle d'après d'El-Ya'qoûbī », in R.Af., 386-387, 1941, pp. 48-49. ; VONDERHEYDEN, M., La Berbérie orientale sous la dynastie des Benoû l-Arlab (800-909), Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1924, p. 66.; Mario Dall'arche, Scomparsa del cristianesimo ed espansione dell'islam nell'Africa Settentrionale, Rome, Edizioni Fiamma Nova, 1967, p. 09. ; DJAÏT, H., « L'Afrique arabe au VIIIe siècle (86-184/705-800) », in Annales, Économies, Sociétés et Civilisations, année 28-3, Mai-Juin 1973, p. 613.

قديمة منها باغاية، ومسكيانة ونقاوس، ثم وصولا إلى مدينة طبنة قاعدة الزاب والتي كتب بشأنها "يسكنها العرب والعجم وبينها الاختلاف والحرب ويسكن حولها بنو زقراح"[7]. ثم يعدل البكري من معلوماته الخاصة بطبنة عندما يعوض مصطلح العجم بالمولدين. هؤلاء يستنجدون بإخوانهم "المولدين" من أهل بسكرة و"ما والاها"[8]. وبخصوص بسكرة، فيجعل منها البكري قاعدة لـ"كورة فيها مدن كثيرة" متميزة بإنتاج النخل والزيتون وبسكانها المولدين المعتنقين لإسلام على مذهب "أهل المدينة" وبتشكل مجالها الريفي من مجموعات بربرية: سدراتة وبنو ومغراوة[9].

وما يمكن ملاحظته، هو تبني التصنيف الذي انتشر في تلك الفترة، والذي جمع كل الجماعات السكانية التي تواجدت ببلاد المغرب قبل الفتوحات الإسلامية تحت مسمى البربر المعروف في الأدبيات اللاتينية إلى غاية القرن الثالث الميلادي باسم Barbarius، والتخلي التدريجي عن مصطلح المور (Maurus)، وأيضا الأفارقة والروم لفائدة كلمة جديدة أطلقت على هذه الجماعات تحت اسم المولدين، تمهيدا لإدماج الجميع في نفس الدائرة البشرية، وهي البربر وهذا بعد القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[10].

تتشكل كورة بسكرة في كما ورد في كتاب المسالك والممالك من عدة مدن منها جمونة (تاجمونت) وطولقة ومليلى وبنطيوس، والتي وصف أهمها عند تطرقه إلى وصف الطريق الرابط بين وهران والقيروان:

أول الطبونيمات التي تستوقف الدارس هو بنطيوس: "وهي ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض، وفي كل مدينة جامع، فالاثنان لأهل السنة، والثالثة لقوم من الخوارج يعرفون بالواصلية، اباضية، إحداهما يسكنها قوم من الفرس يعرفون بني جريح...والثانية يسكنها المولدون، والثالثة يسكنها البربر "[11].

إن طبونيم بنطيوس المعرب عن اللاتينية يطرح إشكالا بخصوص دلالته اللغوية، كما أنه يشمل ثلاث مدن بتعبير البكري، لكن في الواقع هي ثلاثة قصور يمكن رؤيتها في المراكز التاريخية لقصور المخادمة وبنطيوس قرب زاوية الأخضري وأورلال، وهذه المواقع تتميز باستمرار الحياة البشرية بها منذ الفترات القديمة نظرا لتواجد طبقات أثرية متنوعة لعل أقدمها يعود على الأقل إلى الفترة الرومانية. إنّ الحفريات هي الكفيلة وحدها تحديد الانتقال من البنيان الحجري إلى الطوب ومدى استمرارية الاستيطان البشري في المراحل اللاحقة. إن الجديد في هذا الوصف هو هذا التشكل لمدن إثنية–ثقافية كان فيها للعنصر اللاتينو-يوناني الحظ في تمسكه بإحداها، ولكن بتخليه عن ديانته المسيحية لصالح إسلام على المذهبين المالكي والحنبلي.

---

[7]- البكري، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003، ج. 2، ص. 228.

[8]- نفسه، ص. 229.

[9]- نفسه، ص. 230.

[10]- AMARA, A., « L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IX^e- XV^e siècle », in Actes de la journée d'étude sur les Berbères entre Maghreb et Mashreq, Madrid, Casa de Velazquez, 28 juin 2013 (sous presse).

[11]- نفسه، ص. 254.

فكرة المدن الثلاث المتقاربة للدلالة على طبونيم واحد، تتكرر في وصف البكري لطولقة عندما كتب بأنها ثلاث مدن متقاربة محاطة بأسوار من الطوب تسكنها ثلاثة جماعات: "إحداهما يسكنها المولدون، والثانية يسكنها اليمن، والثالثة يسكنها قيس"[12]. إن المعطيات الأثرية الميدانية الحالية تسمح لنا من تحديد المدن الثلاث المنسوبة في هذه الجغرافية إلى طولقة، وكلها تشترك في الماضي القديم والتخلي عن البنايات الحجرية لفائدة الطوب وهي المركز التاريخي لطولقة، وفرفار وليشانة. وكل هذه الأسماء ذات الأصول النوميدية تحولت إلى اللاتينية ثم إلى العربية بتحريفات مختلفة، وتشترك في نواتها القديمة المتمثلة خصوصا في توسط المعلم الديني للنسيج الحضري، وهو ما يمكن مشاهدته خصوصا في فرفار بعد عملية إعادة بناء المسجد الحالي. إن العنصر المولدي يشترك في سكناه "لمدينة" من مدن طولقة بعدما اعتنق إسلام سني كذلك.

ويواصل الجغرافي الأندلسي الحديث على مدن كورة بسكرة معرجا على مدينة تهوذا، مركزا على "أوليتها" وبسكانها المنتسبين لجماعات قرشية على مذهب أهل العراق والتي تحيط بهم جماعات محلية تتكون من هوارة ومكناسة المعتنقة للمذهب الإباضي[13]، وهي أيضا الجماعات التي ستصنف في خانة البربر. ويشكل قبر عقبة بن نافع الفهري مكان للذاكرة الجماعية للمدينة، حاملا معه مجموعة من الروايات التي قدسته بتقادم الزمن متأثرة إلى حد ما بعقيدة الخلاص. وفي نهاية الوصف يتطرق البكري إلى بادس المشتهرة بتوفرها على حصنين وجامع وأسواق وخصوصا بإنتاج القمح مرتين في السنة[14].

تدل المعلومات التي وفرها لنا البكري عن التركيبة البشرية للزاب في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بالقول بأن المنطقة كانت متعددة الإثنيات والثقافات والمذاهب داخل نفس الدائرة، بمعنى القصور المشكلة للمدينة الواحدة. فبالإضافة إلى الجماعات اللاتينية واليونانية (الروم) والمحلية، انضمت جماعات عربية وفارسية إلى هذا النسيج خصوصا في المناطق الشرقية للزاب على غرار تهودة وبادس. كان هناك نزاع وتصارع بينها انطلاقا من الفوارق الإثنية والمذهبية خصوصا بين المذهب المالكي والمذهب الحنفي، الذي كان المذهب الرسمي للدولة الأغلبية في السابق. إن حالة الزاب هنا مرتبطة أساسا بمدن معتنقة لديانات رسمية لقوى سبق وأن هيمنت على حكم إفريقية وعلى أرياف مرتبطة بمذاهب معارضة لسلطة المدينة مثلها خصوصا المذهب الإباضي بشقيه النكاري والوهبي[15].

[12] - نفسه، ص. 254.

[13] - نفسه، ص ص. 254-255.

[14] - نفسه، ص. 257.

[15] - عن إباضية الزاب، تراجع دراستي: AMARA, A., « Entre le massif de l'Aurès et les oasis : apparition, évolution et disparition des communautés ibâḍites du Zâb (VIII^{e}-XIV^{e} siècle », in Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, 132, 2012, pp. 115-135.

بسكرة قاعدة الزاب الأسفل:

مع بناء مدينة المحمدية المعروفة شعبيا ومحليا باسم المسيلة على يد علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي في عام 315هـ/973م،[16] ثم بناء قلعة بني حماد في شمالها الشرقي على بعد 35 كلم، بدأت مقاطعة الزاب تعرف تحولات مجالية بعدما سيطر عليها الأمير الحمادي بلكين بن محمد (447هـ-454هـ/1055م-1062م) خلال حملة عسكرية ناجحة قتل خلالها متوليها جعفر بن علي بن رمان[17]. كان لأهمية بسكرة في التحكم في طرق التجارة العابرة للصحراء واشتهارها بإنتاج التمور وبتحكمها في فضاء تنتشر فيه جماعات اباضية مناوئة دافعا لهذا الأمير الحمادي إلى إخضاعها وتعيين أحد عناصر نفس الأسرة أي بنو رمان على رأسها، إلى غاية تمرده، وهو ما دفع بالأمير الحمادي الناصر بن علناس (454هـ-481هـ/1062م-1088م) بدفع جيش تحت قيادة وزيره خلف بن أبي حيدرة إلى بسكرة، حيث تمكن من استرجاعها واعتقال أعضاء من أسرة بني جعفر وبعض الأعيان واقتيادهم إلى قلعة بني حماد حيث أعدموا. ونتج عنها تقسيم بلاد الزاب إلى مقاطعتين إداريتين وذلك باستحداث الزاب الأعلى بقاعدته الجديدة نقاوس والزاب الأسفل بقاعدته بسكرة. فإذا كانت الأولى قد منحت حصرا لأحد أبناء العاهل الحمادي، فإنّ الزاب الأسفل أسندت إدارته لعائلات محلية نافدة منحدرة في أصولها من بقايا اللاتين أو من الجماعات الزناتية المتحالفة، حيث كانت أسرة بني سندي أشهرها.

تزامن هذا التنظيم المجالي الجديد مع حدث هام وهو الهجرة الهلالية، التي تنقصنا بخصوصها مصادر إخبارية معاصرة، وهو ما أدى في النهاية إلى توظيف الهجرة الهلالية لأغراض إيديولوجية منذ البدايات الأولى، على أساس أن الكتابة التاريخية الصادرة عن البلاط الباديسي في المهدية (ابن شرف القيرواني، ابن أبي الصلت) تربط بين تراجع الثقافة العمرانية بالقيروان والحركة الهلالية. لقد ضخم الدور التخريبي الهلالي بتقادم الزمن إلى غاية استغلاله بشكل مباشر من طرف المؤرخين الاستعماريين بتصنيفه في خانة "الكارثة الهلالية" أو "القطيعة بين عالم الحضارة وعالم البداوة" في تاريخ المغرب، وهذا اعتمادا بالأساس على الترجمة الحرفية لكلمة "عرب" و"أعراب" في كتابات ابن خلدون بالعرب وليس بالبدو أو غير الخاضعين للسلطة المركزية[18]. إن إعادة قراءة النصوص التاريخية ووضعها في سياقها المعرفي ستؤدي بنا إلى مراجعة عدد من الأحكام التي أطلقت على الهلاليين من طرف المؤلفين في فترات سابقة.

لقد أثيرت عدة قضايا تتعلق بالهلاليين في النوازل الفقهية المعاصرة لبداية الهجرة إلى بلاد المغرب أو التي جاءت متأخرة عنها وكلها تجمع على ظاهرة تشكل ما يشبه بمغتصبات بعد اقتسامها لأراضي زراعية وطردها

16- AMARA, A., « Les Fatimides et le Maghreb central : littoralisation de la dynastie et modes de contrôle des territoires », in Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée (A paraître en 2016).

17- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، مؤسسة جمال للنشر، ج. 6، ص. 172.

18- يراجع: علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط: قراءة في نقاش تاريخي"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 4، 2004، ص ص. 31-75.؛ عن ترجمة الأعراب واستعمالاتها يراجع: VOGUET, E., Le monde rural du Maghreb central (XIVe – XVe siècles), Constructions juridiques et réalités sociales, Paris, Publications de la Sorbonne, 2014, pp. 314-323.

لسكانها المحليين[19]، خصوصا في المناطق المفتوحة بإفريقية بما في ذلك بلاد الزاب. لقد توارثت أجيال عدة هذه المغتصبات وأثير حولها جدل فقهي واسع. كما تسمح لنا تلك النوازل بإخضاع الهلاليين لعدد من الجماعات السكانية المحلية من خلال جمع المغارم، وهي تشترك في ذلك مع الأسر المحلية الحاكمة في شمال بلاد المغرب، مما أدى في النهاية بهذه المجتمعات القبلية الغازية إلى لعب دور الجهاز السياسي والمالي في الوسط الريفي لتلك المناطق، قبل وصولها إلى تشكيل جهاز سياسي مهمته إدارة مجالات جغرافية واسعة على غرار بني مزني ببسكرة.

بالنسبة لبلاد الزاب، تقدم لنا شهادة واردة في "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي، وإن كانت متأخرة بأكثر من قرن على وصول الهلاليين الوضعية في المنطقة، بمعنى آثار التواجد الهلالي بعد قرن من وصول جماعات رياح إليه:

"وطبنة مدينة الزاب وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير وعليها سور من تراب وأهلها أخلاط وبها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في ضروب من التجارات والتمر بها كثير وكذلك سائر الفواكه[20]" وفيما يخص شرق الزاب: "حصن بادس، وهو في أسفل طرف جبل أوراس... وهو حصن عامر بأهله والعرب تملك أرضه وتمنع أهله من الخروج عنه إلا بخفارة رجل منهم[21]"

"فأما مدينة باغاي فمدينة كبيرة عليها سوران من حجر وربض عليه سور وكانت الأسواق فيه، وأما الآن فالأسواق في المدينة والأرباض خالية بإفساد العرب لها وهي أول بلاد التمر... وكانت لها بواد وقرى وعمارات والآن كل ذلك قليل فيها وحولها عمارات برابر يعاملون العرب وأكثر غلاتهم الحنطة والشعير وقبض معاوينها وتصرف أحوالها لأشياخها[22]".

إن ممارسة سلطة الغلبة ليس مقتصرا على الوافد الهلالي في "جغرافية" الإدريسي وإنما مرتبط أساسا بحضور قوة المجتمع الريفي الحربية التي لا يمكن ربطها بأي مركب اجتماعي بعينه. فالإدريسي يعطي لنا مثال عن الجماعات البشرية الساكنة بجبال الأوراس قبل تغلغل الهلاليين به: "ويتصل بها وعلى أميال منها جبل أوراس وطوله نحو من إثني عشر يوما وأهله مسلطون على من جاورهم[23]"

---

[19]- فتوى السيوري في المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب للونشريسي، تح. محمد حجي وآخرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981، ج. 9، ص. 593.

[20]- نشر، القاهرة، عالم الكتب، (ب ت)، ج. 1، ص. 263.

[21]- نفسه، ص. 264.

[22]- نفسه، ص. 276.

[23]- نفسه، ص. 277.

من الزاب إلى الزيبان:

عرفت بلاد الزاب تحولات مجالية جديدة وأصبحت الكلمة تدل على بسكرة وواحاتها الشرقية والغربية حصرا، بعدما تحولت بلاد زناتة إلى بلاد رياح ويظهر مصطلح جديد للدلالة على المنطقة الغربية من الزاب وهو الحضنة، التي تحول الاستيطان البشري فيها لصالح رياح على حساب جماعات زناتة. واكب هذا التغير في تنظيم المجال، إعادة تنظيم شبكة الواحات انطلاقا من بسكرة وما حولها، تحت مسمى الزاب الشرقي بقاعدته بادس والزاب الغربي بحاضرته طولقة والزاب الأوسط مع بسكرة كقاعدة له لكل الزيبان، وكان هذا التحول مرتبط بإعادة تشكيل الخريطة الاجتماعية بعد امتزاج جماعات رياح بما تبقى من لواتة ومكناسة ومزاتة وزناتة، كان فيه الغلبة للعنصر الرياحي كما سنرى، حيث سيطر أولاد محمد وأولاد سباع على الزاب الغربي وأولاد محمد على الزاب الأوسط في حين هيمن أولاد ثابت على الزاب الشرقي. وفي خضم هذا التحول المجالي، تنذر المعلومات عن تاريخ المنطقة ما عدا بعض الشواهد التي كتبت بأقلام من قدم من الحواضر الشمالية.

فمن ذلك نص رحلة ابن الحاج النميري الموسومة بـ "فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب" والتي واكب فيها الحملة العسكرية للسلطان المريني أبي عنان في عام 758هـ/1358م ليغطي لنا فترة زمنية مهمة من تاريخ بلاد الزاب، انطلاقا من القنطرة ووصولا إلى بسكرة وطولقة. ففي الفصل الخاص بـ "ذكر الحركة إلى الزاب وانجاف الخيل إلى بلاده والركاب"[24]، يطرح بنظرة منحازة "للأمان المريني" لما سماه بتوغل "العرب المنافقون في الصحاري والمفاوز" في محاولة لإخضاع منطقة خارجة عن سلطته، يتحكم في مصيرها شيوخ هلاليين، كان أشهرهم عثمان بن علي بن أحمد الرياحي، صاحب القصر المعروف باسمه والذي وصفه ابن الحاج بـ" قصر بديع به دور حسنة وجنات، بناه بالحجارة المنحوتة، "وكانت بداخل القصر ديار محكمة البناء"[25]. إن معلومات هذا المؤلف على انحيازها تؤكد لنا حصول عمليات اغتصاب لأراضي الجماعات المحلية كما حصل للواتة مع هذا الشيخ الرياحي: "ولم يزل به جديد الإنس ناعم البال، جانيا قبل ثمرات الحدائق وثمرات الآمال، متظاهرا بالرباط، نازعا فيما يزعم عن الهياط والمياط، مشتدا على لواتة الذين غصب أرضهم، وانبسط في أرجائها بالبناء فأعظم قبضهم"[26]. ولكن وعكس ما يتوقع ابن الحاج من قرائه، فإن نص الرحلة يبين بوضوح الدور البناء للعنصر الهلالي الرياحي من خلال تشييده لقصور "قبلية" محصنة سمحت بممارسة سلطة ريفية على بعض الجماعات البشرية المحلية الخاضعة. إن الدور المريني في الزاب المرتكز على الأسرة المزنية تميز بالمقابل بطابع التخريب العمراني بعدما أقدم السلطان المريني على تهديم قصر الأمير الرياحي وقصبة طولقة التي تحصن بها صاحبها الشيخ عبد الرحمن[27]. إن ضمان الجباية لبيت مال السلطان

---

[24]- ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990، ص ص. 410-429.

[25]- نفسه، ص. 413.

[26]- نفسه، ص. 415.

[27]- نفسه، ص ص. 430-444.

المريني وحلفائه ساهمت في تخريب النسيج العمراني لبلاد الزاب من خلال تسوية قصور وحصون مناوئيه بالأرض.

إن حضور العرب والأعراب كان بشكل ملفت في نص ابن الحاج النميري الخاص بحملة أبي عنان إلى بلاد الزاب "وأوعز أيده الله لشيخ الدوسن أن يثقف جميع ما بتلك البلدان من خزين العربان، وتقدم إليه بالوعيد على إضاعة الحزم في ذلك الشأن. وكذلك صدرت المراسم لأهل بلاد الزاب، بتثقيف ما يكون بكل بلد منها من أملاك الأعراب، واعتصارها مدى الأحقاب، ورفع غلاتها في جملة المجابي السلطانية، وإضافة رسومها إلى المختص المنوط بالدولة العنانية"[28]، مما يعني في النهاية اختفاء الدور السياسي والعسكري للجماعات المنتسبة لمكناسة ولواتة وزناتة لفائدة جماعات رياح.

الشهادة الثانية هي لأحد المقيمين ببسكرة في عصر بني مزني ويتعلق الأمر بعبد الرحمان بن خلدون (808هـ/1406م)، حيث يشكل تأكيد على انتشار ظاهرة "المغتصبات" الهلالية في إفريقية وبلاد الزاب وعدد من المناطق المفتوحة وهذا بتكراره لعبارة "وغلبوا على الضواحي بالزاب والمغرب الأوسط وعجزت زناتة عن الدفاع"[29]. إن هذا الانتشار الهلالي كان على حساب الجماعات المحلية الزناتية خصوصا مما جعلهم يتحكمون في فضاءات ريفية واسعة، محدثا تغييرا عميقا في التركيبة البشرية للمناطق الريفية للزاب، ولم تسلم حتى المدن من هذه الظاهرة. لقد نتج عن هذا الاستقرار الهلالي في صورة الغزوة إلى تشكل مجموعة من التجمعات البشرية المحصنة المعروفة باسم القصور والتي عرفت بأسماء من اختطها أو جددها بعد طرد العناصر الزناتية والمكناسية[30]. لقد شكل الأثبج الجماعات الهلالية الأولى التي سرعان ما تراجعت لفائدة العناصر الرياحية، خصوصا الذواودة الذين تمكنوا بفضل سيوفهم من التغلب على منافسيهم: "فاعتز الذواودة على الأمراء والدول وساء أثرهم فيها وغلبوا بقايا الأثابج فنزلوا قرى الزاب وقعدوا عن الطعن وأوطنوا بالقرى والآطام"[31].

لقد كان لتدخل قوى الشمال دور كذلك في توطين عدد من الجماعات الهلالية خصوصا كرفة، أحد الفصائل الأساسية للأثبج حيث تحصلوا على إقطاعات في المناطق الشرقية من جبل أوراس وكثيرا من بلاد الزاب الشرقية حيث كانت محلاتهم الشتوية. إن ظاهرة تشكل الأوطان القبلية الهلالية تواصلت خصوصا في المناطق الشمالية لبسكرة إلى الجنوب من الأوراس خصوصا بعد تمركز أولاد فارس وأولاد عزيز وأولاد ماضي من بني قرة الأثابجيين "فموطنهم بسفح جبل أوراس المطل على بسكرة قاعدة الزاب متصلين كذلك غربا إلى مواطن غمرة وهم في جوار رياح وتحت أيديهم"[32]. لقد شكلت بلاد الزاب الغربية بقاعدتها طولقة مجال آخر لتشكل

28- نفسه، ص. 452.

29- ابن خلدون، كتاب العبر، بيروت، مؤسسة جمال للنشر، ج. 6، ص. 19.

30- نفسه، ج. 6، ص. 21.

31- نفسه، ج. 6، ص. 22.

32- نفسه، ج. 6، ص. 25.

"المغتصبات" الهلالية بعد اقتسامها بين أولاد محمد وأولاد سباع ، فيما تقاسم ضواحي الزاب الأوسط بقاعدته بسكرة أولاد محمد. وفي الجانب الشرقي من الزاب وقاعدته بادس، تركزت ممتلكات أولاد نابت[33].

ظهور خريطة اجتماعية ومجالية جديدة:

إن مسألة تشكل خريطة اجتماعية جديدة ببلاد الزاب لم تلغ نهائيا الجماعات المحلية، بل إن ابن خلدون يدعم معلومات ابن الحاج النميري حول بقاء جماعات محلية تنتسب للواتة وزناتة، خاضعة لسلطة الغالب الهلالي، كما حافظت بعض المدن على عناصرها المنتمية للإرث اللاتينو-بيزنطي أو العربي الفاتح، ولعل بقاء عائلة بني رمان في بسكرة لدليل قوي على ذلك.

إن استقرار العنصر الهلالي بالزاب نقل المنطقة من خصوصيتها المتعددة الأجناس إلى وسط عربي ريفي غلب عليه مفهوم القبيلة بمعناها التقليدي، مما جعله معقل أساسي لجماعات متنافسة لا تعرف إلا لغة "الغلبة والسيف". إن سيادة كلمات "أولاد" و"وطن" و"أحياء" في هذا التنظيم المجالي الجديد أربك إلى حد بعيد النسيج الاجتماعي والعمراني للمنطقة، وجعلها تعيش خارج مجال "الدولة التراثية" إذا ما استثنينا فترة حكم بني مزني الذين تمتعوا بحكم بسكرة ومناطق بشرية تدين بالولاء الضريبي لا غير، وهذا بمساندة ومباركة "دول" شمال بلاد المغرب.

إن عملية تهجير الجماعات المحلية "البربرية" أو إخضاعها بقوة السيف كان له الأثر البارز في تحول أرياف منطقة الزاب من تركيبتها الاجتماعية المحلية إلى تركيبة اجتماعية مشرقية تتميز بالدور المحوري للقبيلة في تنظيم النسيج الاجتماعي. إن هذا التغيير الريفي العميق واكبه كذلك نهاية الزاب كمعقل إباضي بعد نزوح عدد من الجماعات الاباضية نحو منطقة وارجلان ووادي ميزاب.

إن إعادة تنظيم المجال البشري والجغرافي لبلاد الزاب وحصرها في منطقة بسكرة هو نتاج التأثير العميق للقوى القبلية والأسرية التي رسمت تاريخ المنطقة، فبعدما سيطرت عائلات بني سندي وبني رمان ذات الأصول اللاتينو-رومانية، انتقلت الزعامة المحلية إلى بني مزني، والتي يصعب تحديد أصولها بدقة بعدما ربطت نفسها بأصول عربية هلالية، وهي المعلومة التي تحتاج إلى بحث عميق، خصوصا وأن الخطاب الجنيالوجي تحول إلى أيديولوجية حقيقية في نهاية الفترة الوسيطة، كأداة لتبرير شرعية سياسية أو اجتماعية. إن العنصر الهلالي لا يمكن ربطه فقط بالتخريب أو الفساد، وإنما لعب دور بناء من خلال اختطاط القصور وممارسة سلطة اجتماعية تقليدية قائمة أساسا على الولاء الضريبي. إن الحضور الهلالي ربط منطقة الزاب بفلك الثقافة السائدة المعتمدة أساسا على المذهب المالكي واللغة العربية، مما أدى في النهاية إلى حدوث نوع من المثاقفة (Une acculturation) ساهمت في تشكل هوية زابية محلية. لقد كان للأفكار الصوفية دورا مهما في الربط التدريجي للمنطقة بالشبكات الصوفية، خصوصا انطلاقا من "دعوة سعادة" الثورية مما نتج عنه تجدر الولاية الصوفية في

---

[33]- نفسه، ج. 6، ص ص. 34-36.

عدد من الطبونيمات، كسيدي خالد أو سيدي ناجي أو حتى سيدي عقبة، في مقابل تجدر الطبونيمات القبلية الهلالية في عدد من المناطق منها أولاد جلال على سبيل المثال.

المحور الرابع: الوضع الحالي لمتاحف المنطقة.

دور السكان في حماية التراث المادي نماذج من مواقع اثرية بالزيبان

أ. تريعة السعيد[1]

لعب سكان الزيبان دورا مهما في حماية التراث المادي –الثابت والمنقول- في عدد من المواقع الاثرية المنتشرة بأقاليم الزيبان، وتحول الانسان من الصورة النمطية السلبية المرسومة بانه عمل تخريب وهدم الى صورة ايجابية يجسدها بعض الافراد تستحق التقدير تتمثل في السهر على حماية الاثار في مناطق مختلفة وخلال فترات مختلفة، واحيانا بالتوارث من الاب الى الابن.

التراث المادي:

يعتبر التراث والتراث المادي بصفة عامة منتوجا بشريا أفرزته خصائص الزمان والمكان في علاقته بالإنسان حيث يعتبر جزءا لا يتجزأ وحلقة أساسية وحجر الزاوية في تاريخ وحياة البشرية. فقد شغل بال المتتبعين منذ عقود مضت حيث أضحى الاهتمام والحفاظ عليه من الأولويات لما يشكله من صون للذاكرة من النسيان، يعبر التراث المادي عن الهوية التي نتعرف بها عن حضارات الشعوب ونتمكن من سبر أغوار ثقافاتها وسلوك مجتمعاتها إنها كالبصمة للإنسان تميزه عن غيره[2]. وتزخر منطقة الزيبان بتراث ثري يمتد في اعماق الزمن[3].

لماذا نحمي التراث؟

نحمي التراث ونهتم به لتحقيق اهداف في عدّة مجالات منها:

-خدمة قضايا الأمة الثقافية وتحقيق التنمية الشاملة، فالمخلفات الحضارية تساعد على دراسة وتطور الحضارة والفنون، ومادة للبحث العلمي وإنماء المعلومات التاريخية، ومنها خدمة الحياة الاقتصادية. فهي تؤلف مادة هامة للصناعة السياحيّة فكثرة الآثار والمخلّفات الحضارية في المنطقة والاهتمام بها من خلال صيانتها وترميمها تشجع أفواج السياح، لإنفاق ما يدخرونه من أموال للقيام بجولات سياحية، وبالتالي يرجع هذا لفائدة للبلد والزائر. لقد غدت المداخيل السياحية أساسية لكثير من البلدان في العالم العربي كمصر وتونس وغيرها.

---

[1]- استاذ مساعد "أ" جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف. البريد الالكتروني: triaasaid@yahoo.fr

[2]- محمد عابد الجبوري، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993، ص. 23.

[3]- محمد الصغير غانم، مقالات حول تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، باتنة، بدون تاريخ، ص. 04.

ومن الفوائد التي نجنيها من حماية الآثار والاهتمام بها، يتجلى في كونها تراثاً أصيلاً يتصل بشخصية الأمة، ويعطيها الطابع المميز ويعبّر عما تتمتع به من حيوية وقدرة على حل المشاكل الخاصة بالحياة، كما يحدد مستواها في الذوق، والحس الإبداعي، ودرجة تقدمها في العلوم والفنون. وقد دفع ذلك، بالأمم كافة إلى الاهتمام بالتراث وحمايته. وقد أصبح اليوم هذا التراث في عُرف الأمم، حيث لا يخص أمة من الأمم بعينها إنما هو ملك الإنسانية جمعاء، فالجزائر مثلا تضم سبعة مواقع مصنفة ضمن الترتيب العالمي لمنظمة اليونسكو[4].

التراث المادي في مجمله ما هو في نهاية الأمر، إلا تحف تملك قيما أثرية وتاريخية، وتوثيقية، واقتصادية، واجتماعية، وسياسية، ودينية وثقافية، ومعمارية، وفنية، وجمالية، ورمزية... وإرثا إنسانيا وجب تثمينه وصيانته وتسخيره في خدمة البشرية.

ماهي الاخطار التي تواجه التراث بالزيبان؟

هناك عدد كبير من الأخطار التي تسبب الضرر للشواهد المادية، من بينها المباني التاريخية والأثرية، وبالتالي تتسبب في خرابها والتوقف عن استخدام تلك المباني، مما يعني تآكلها تدريجيا. ويمكن إجمال تلك الأخطار في الأمور التالية:

أولاً. الأضرار التي تسببها الطبيعة ومن بين تلك الأضرار: الزلازل والصواعق، والأمطار والسيول، والعوامل الجوية. كما هو الحال بالنسبة لعدد من المواقع الاثرية بالزيبان مثل: القصبات، وبادس، وتهودة ...الخ.

ثانياً. الأضرار الناتجة عن سلوك الإنسان: هناك عدد من الأمور التي تحدث والتي يكون مصدرها الإنسان مثل: الحرائق والحروب وأعمال الهدم والتخريب والتهريب. فخلال الفترة الاستعمارية، تعرض عدد من المواقع الاثرية بالزيبان لعدة اخطار بشرية؛ من بينها القيام بحفريات غير منهجة وترك الاثار معرضة للمختلف العوامل الطبيعية والبشرية كما حدث في معسكر جيميلاي بالقصبات[5]. يضاف الى هذا سرقة الكثير من التحف الاثرية خلال تلك الفترة حسب ما أكدته روايات من عايشوا هذه الحقبة.

وبعد الاستقلال شجع ضعف المراقبة أحياناً كثيراً من طرف المؤسسات الوصية، على القيام بأعمال تؤدي إلى هدم المباني التاريخية، رغبة في تجديدها أو إزالتها لتقيم مكانها أبنية جديدة، هذا راجع للجهل بالقيمة التاريخية للبناء أو عن عمد في بعض الأحيان. وتم خلال سبعينات القرن الماضي سرقة الكثير من العناصر المعمارية والاثرية تحت غطاء ترميم جامع عقبة بن نافع العتيق بسيدي عقبة[6].

---

[4] - قصبة الجزائر، والتاسيلي الناجر، واثار واد ميزاب، وتيمقاد، وجميلة، وتيبازة، وقلعة بني حماد.

[5] - BARADEZ, J., « Gemellae, camp d'Hadrien et ville des confins sahariens », in CRAI, 1948, pp. 390-395.; Id., « Gemellae, un camp d'Hadrien et une ville des confins sahariens aujourd'hui ensevelis sous les sables », in R. Af., 93, 1949, pp. 05-24.; Id., Fossatum Africae, Recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine. Paris, 1949, 377, p. 275 ill., 02 cartes.

[6] - حسب روايات السكان المحليين بمدينة سيدي عقبة.

وبعد تسييج عدد من المواقع الاثرية سنة 2010م من ابرزها: موقع جميلاي وموقع بادس وموقع تهودة، وتعيين حراس لهذه المواقع سنة 2013م نقصت الاخطار بالنسبة للمواقع المحمية. وبقيت الاخطار تواجه الاثار في المناطق النائية والاثار غير المصنفة.

وظهر تهديد جديد لتراث الزيبان من خلال محاولات الباحثين الاجانب، بحجة البحث العلمي لتوظيفه لخدمة ايديولوجيات معينة بالاتصال بالسكان عن طريق وسائل التواصل الاجتماعية على الانترنت، ومحاولة اغرائهم بشتى الوسائل والامكانات التي يطمع فيها شباب اليوم، لأخذ صور مختلف المعالم واللقى الاثرية القديمة والجديدة، وارسالها اليهم في الخارج. وعلى سبيل المثال لا الحصر الباحث موريزو[7]، حيث اكد احد سكان مدينة زريبة الواد انه اتصل به للحصول على معلومات تتعلق بتراث المنطقة[8].

نماذج لدور السكان في حماية التراث المادي بالزيبان:

أ - منطقة بادس:

ساهم سكان قرية بادس التابعة اداريا لبلدية ودائرة زريبة الوادي بولاية بسكرة في الحفاظ على الشواهد الاثرية المادية من بينها:

-احتفظت عائلة مرابط، بشاهد قبر غير مكتوب مزخرف بصليب جوستينياني (**الصورة 01**) ويعتقد رب العائلة انه يعود الى احد اجداده، ويعود هذا الشاهد حسب الباحث ياسين رابح حاجي بالفترة البيزنطية ابتداءً من القرن السادس ميلادي. استعمل هذا الشاهد وككل العناصر المعمارية المترامية هنا وهناك حول الموقع الاثري وفي اسفل جدران منازلهم الطينية كقاعدة عمود[9] (**الصورة 02**) ولقى اثرية اخرى كجزئين من بلاطة حجرية مستطيلة الشكل (**الصورة 03**)، ولا يزال يستعمل من طرف السكان المحليين كمقاعد يجلس عليها في اوقات الراحة[10].



الصورة 01: شاهد قبر غير مكتوب مزخرف بصليب جوستينياني. عن: حاجي، ياسين رابح؛ فورالي، حميدة، المرجع السابق، ص. 44.

---

[7]- موريزو باحث هاوي الاثار اجنبي (فرنسي الجنسية) مهتم بآثار الاوراس نشر عدة مقالات من بينها: MORIZOT, P., «Regard sur les inscriptions de Thouda du XVIII siècle à nos jours », in CRAI, 2010, pp. 817-841.

[8]- اكد السيد م. بسكري من زريبة الوادي ان موريزو اتصل به وطلب منه صور تتعلق بموقع بادس الاثري.

[9]- حاجي ياسين رابح؛ فورالي حميدة، "مساهمة البحث الاثري في الحفاظ على التراث المادي في شمال وجنوب الاوراس"، مجلة اثار، 10، 2013، ص ص. 43-44.

[10]- نفسه.



الصورة 02: قاعدة عمود.
عن: حاجي، ياسين رابح؛ فورالي، حميدة، المرجع السابق، ص. 44.



الصورة 03: جزئي من بلاطة حجرية. عن: حاجي، ياسين رابح، دراسة ميدانية، ديسمبر 2007م.



الصورة 04: النصب الجنائزي لجندي في الكتيبة.
عن: حاجي، ياسين رابح، دراسة ميدانية، ماي 2013م.

-قام سكان بادس بحفظ النصب الجنائزي لجندي الكتيبة (الصورة 04) في بادس من خلال اعادة استعماله كركيزة داخل المسجد المبني بالطين على الكدية[11] التي تضم المساكن التقليدية وبعد انهيار المباني تم اكتشاف هذا الاثر بالموقع الاثري لبادس. اكتشف هذا النصب الجنائزي في شهر ماي 2013م، من طرف الباحث حاجي ياسين رابح[12]، والذي اشرف على تربص ميداني لطلبة دراسات عليا قسم الهندسة المعمارية/كلية العلوم/جامعة بسكرة، تخصص التراث المادي في الاوراس والصحراء، تم الاكتشاف بالصدفة بمعية المؤطرين الذين شاركوا في التربص والطلبة على نصب لنقيشة جندي في كتيبة تعود للقرن الاول والثاني ميلاديين[13].

ب - موقع تهودة الاثري:

قام سكان قرية تهودة التابعة اداريا لبلدية ودائرة سيدي عقبة بولاية بسكرة بالحفاظ على عدة شواهد اثرية مادية، وهذا خلال الفترة الاستعمارية من خلال اخفاءها عن اعين المهربين، وحتى بعد الاستقلال في الفترة الممتدة من 1962م الى 2010م -تاريخ تسييج الموقع الاثري- من خلال التصدي لمحاولات سرقة الاثار.

---

[11]- هي عبارة عن ربوة اصطناعية.

[12]- استاذ مشارك في تكوين دفعة طلبة دراسات عليا ماجستير /قسم الهندسة/جامعة بسكرة، وهو استاذ محاضر "أ" من معهد الاثار بجامعة الجزائر 2.

[13]- يراجع مقال الباحث حاجي، ياسين رابح، "نصب جنائزي لجندي في الكتيبة الثانية الفلافية الافرية في بادياس (كوهورس II فلافيا افروروم)"، مجلة ايكوزيم، 4، 2015، ص ص. 125-128.؛ HADJI, Y-R., « L’épitaphe d’un soldat de la cohors II Flavia Afrorum in Badias (Limes de Numidia)», in ZPE, 194, 2015, pp. 294-296.

وبعد حماية الموقع، قام معظمهم بتسليم عدة شواهد واعادتها الى الموقع الاثري، لتزين المدخل، وتحكي تاريخ تهودة.

ومن الاثار التي ساهم سكان تهودة في حفظها نذكر:

كوبولا الجنائزية –شاهد قبر-: استعملت كقاعدة لعمود خشبي بمنزل الراحل السيد بوزيدي عيسى، وبعد انهيار سقف منزله اكشفتها رفقة الباحث ياسين رابح حاجي سنة 2005م حيث قمنا بتنظيفها. وتصويرها وكانت محل دراسة[14] (**الصورة** 05).



الصورة 05: كوبولا الجنائزية.
عن: HADJI, Y-R., Op. Cit.

اعمدة وعناصر معمارية: قام السكان بحفظ عدة عناصر معمارية دون ادراك قيمتها الاثرية من خلال اعادة استخدامها كأعمدة او ركائز لحمل السقف المبني من جذوع النخيل داخل منازلهم الطينية (**الصورة 06**) هذا من جهة، ومن جهة اخرى، وبعدما تعرض 13 جذع عمود حجري للتهريب خلال الفترة الاستعمارية، قام السكان بإخفاء جذع عمود يرجع الى الفترة الرومانية داخل المنزل الطيني لعائلة صخرواي بالكدية تهودة الاثرية. وبقي محفوظ داخل الموقع الاثري، والذي يعتبر النموذج الوحيد المتبقي بتهودة، اذ تم نقله وعرضه في مدخل الموقع (**الصورة** 07).



الصورة 06: ركائز لحمل.
عن: تريعة السعيد، سبتمبر 2004م.



الصورة 07: جذع عمود. عن: تريعة السعيد، ماي 2014م.

[14]- تريعة السعيد، مونوغرافيا اثرية وتاريخية لتهودة وضواحيها، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في علم الاثار غير منشورة، معهد الاثار تحت اشراف الاستاذ حاجي ياسين رابح، 2005م. ؛ HADJI, Y-R., « Aperçu archéologique », in Aoures, 3, 2006, pp. 323. 339



عناصر معمارية في مسجد سيدي الصحبي: يضم مسجد سيدي الصحبي الذي كان موضوع عدة ابحاث[15]، عدة عناصر معمارية اعيد استعمالها سواء كقواعد او اعمدة او كدرجات لسلم المسجد (**الصورة 08**).

الصورة 08: عناصر معمارية استعملت كدرجات لسلم المسجد.
عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2013م.



حجارة منحوتة مزخرفة بالسمكة: حسب روايات السكان، كان هذا الاثر (**الصورة 09**) الذي يحمل نحت بارز لسمكة قرب حمامات القلعة الاثرية، حيث قام السكان بنقله واخفائه عن السياح الاجانب خلال الفترة التي سبقت تسييج وحماية الموقع، لكي لا يتم سرقته، وقام السيد سريتي لزهر بتسليمه الى حراس الموقع الاثري لتهودة بتاريخ 30 اوت 2015م.

الصورة 09: نحت بارز لسمكة.
عن: تريعة السعيد، أوت 2015م.



نصب قديم ومطحنة حبوب: قام السيد معناني محمد بتسليم الموقع الاثري بتهودة مطحنة حبوب ونصب يعود الى الفترة القديمة (**الصورة 10**)، قام والده المرحوم السيد معناني الصادق بأخذ هذه اللقى من الموقع الاثري لتهودة واخفائها عن هواة التحف خلال الفترة الاستعمارية –خمسينات القرن الماضي– حسب ابنه محمد. واحتفظ بها في بيته بمدينة بسكرة وقام بتسليمها بعد اتصاله بمدرية الثقافة واعادتها الى الموقع الاثري -بعد حوالي 60 سنة من الاختفاء[16]- بمناسبة الملتقى الوطني الاول حول التراث بمنطقة الزيبان المنظم من طرف جمعية تراث الاجيال -عين الناقة– بالتنسيق مع مديرية الثقافة بسكرة تحت رعاية السيد والي الولاية واشراف المجلس الولائي يومي 28 و29 ديسمبر 2015م.

الصورة 10: مطحنة حبوب ونصب قديم.
عن: تريعة السعيد، ديسمبر 2015م.

---

[15]- مذكرات تخرج ليسانس وماستر بقسم الهندسة المعمارية/كلية العلوم والتكنولوجيا/ جامعة بسكرة.؛ مكتب المستقبل للدراسات المعمارية والعمرانية، بسكرة، اكتوبر 2009م. ؛ MORIZOT, P., Op. Cit.

[16]- التحف موجودة بالموقع الاثري بتهودة منذ يوم 28 ديسمبر 2015م، ونشكر جمعية تراث الاجيال لقيامها بتكريم السيد معناني محمد بشهادة بعد تسليمه للتحف السابقة الذكر.

من جهة اخرى قام حراس الموقع الاثري بتهودة[17] –الديوان الوطني لتسيير واستغلال التراث الثقافي المحمي– بحملات توعية استرجعوا من خلالها عدة عناصر معمارية قام السكان بإعادتها الى الموقع الاثري.

الطرق التي حافظ بها السكان على التراث المادي:

قام السكان بالحفاظ على التراث المادي اما **عن قصد**، من خلال اخفاء التحف والعناصر المعمارية عن المهربين خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وكذا من خلال التصدي لمختلف حملات التنقيب غير الشرعية ومراقبة كل شخص غريب يدخل المنطقة. كما حدث عدة مرات بالموقع الاثري بتهودة قبل حماية الموقع الاثري.

وعن غير قصد من خلال اعادة استعمال بعض التحف في العمارة الطينية داخل الدشرة بالموقع الاثري مثل بادس وتهودة وليوة .... وبالتالي ضمان عدم خروجها من الموقع.

مقترحات لتفعيل دور السكان في حماية التراث المادي:

لتفعيل دور السكان يجب احترام قوانين حماية التراث الثقافي وعدم القيام باي عمل يمس الاثار وابلاغ الجهات الوصية عن كل اكتشاف جديد.

- تسليم الاثار التي نقلت من المواقع الاثرية قبل تسييجها وحمايتها الى الجهات الوصية مديريات الثقافة الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية، والحضائر الوطنية والمتاحف حسب الاقليم الذي توجد به التحف، مع الامتناع عن اخذ أي اثر يعثر عليه.

- تقديم حوافز مادية ومعنوية للمواطنين الذين يسلمون اثار وشواهد مادية الى الجهات الوصية.

- دراسة مختلف الاليات القانونية وسبل التنسيق بين مختلف المصالح والجهات الوصية لاسترجاع التحف من المواطنين.

- إشراك المجتمعات المحلية في برامج المحافظة على التراث العمراني، ومشاريع تشغيلها، وإيجاد الصيغ الملائمة لذلك للاستفادة من فوائد ومزايا إعادة تأهيل مباني التراث العمراني.

- تشجيع احتضان فكرة الاهتمام بالتراث والآثار، والعمل على ترسيخ قيمتها في أذهان مختلف الأطياف والطبقات الاجتماعية، وإحداث نقلة نوعية في نظرة الناس للتراث من خلال إبراز قيمته التاريخية، وإبراز مساهمات الآباء والأجداد وكفاحهم في تأسيسه وبنائه، وهو الأمر الذي يستدعي إعادة الاعتبار للتراث.

- كما يمكن للمجتمع المدني العمل على تجسيد وترسيخ الوعي بأهمية التراث وقيمته، بالعمل على جمع الوثائق والمخطوطات والصور، مما يتيح للزوار التعرف والإطلاع على هذه المحتويات ومشاهدتها بطريقة عرض متحفي، يساعد على إبراز حضارة هذه المنطقة ومعالمها الأثرية، وتعريف المجتمع بها، ويمكن أيضا

---

[17]- كل من السادة: تريعة عبد المالك، وبوراس علي، وقلالة نبيل، وهلال احمد.

تخليد التراث العمراني من خلال تنظيم مختلف المعارض، مثل معارض الصور القديمة والنادرة التي التقطتها عدسات المصورين في حقب سابقة، والتي تؤرخ لهذا التراث.

كيف تكون حماية التراث المادي؟

تكون الحماية من خلال تطبيق القوانين المتعلقة بحماية التراث الثقافي من بينها القانون 04/98 المؤرخ في 15 يونيو 1998م. يضاف الى هذا المراسيم التنفيذية والتي نذكر من بينها[18]:

- المرسوم التنفيذي رقم 311-03 المؤرخ في 14 سبتمبر 2003م الذي يحدد كيفيات اعداد الجرد العام للممتلكات الثقافية المحمية.

- المرسوم التنفيذي رقم 222-07 المؤرخ في 14 يوليو 2007م الذي يحدد كيفيات ممارسة رجال الفن حق تفقد الممتلكات الثقافية المنقولة والتحري بشأنها.

- المرسوم الرئاسي رقم 207-08 المؤرخ في 15 يوليو 2008م الذي يحدد مبلغ المكافاة التي يمكن دفعها لمكتشف ممتلك ثقافي.

- المرسوم التنفيذي رقم 352-11 المؤرخ في 05 اكتوبر2011م الذي يحدد القانون الاساسي النموذجي للمتاحف ومراكز التفسير ذات الطابع المتحفي[19].

من جهة اخرى شدد الدكتور ياسين رابح حاجي على ضرورة تطبيق المواد 31-32-33-37-38 المذكورة في قانون 04/98 والتي مفادها احياء المعالم التاريخية بترميمها -على عدد من مناطق الزيبان- كمسجد سيدي عقبة ومن الممكن -حسبه- ان يصنف موقع تهودة نظرا لموقعه واهمية الاثار التي يحتويها الى التصنيف العالمي مع ادماجهما ضمن البرنامج السياحي لولاية بسكرة[20].

لابدّ من اتخاذ عدّة إجراءات لحماية المباني الأثرية حتى تكون بمأمن عن التخريب والتهديم أولى هذه الإجراءات هي:

- إجراء مسح أثري أو تراثي للمنطقة المراد حمايتها للتعرف على أهمية المباني الأثرية والتراثية التاريخية والفنية والأثرية وعمل مخططات أولية لها وتوثيقها وتصويرها.

---

[18]- وزارة الثقافة، الدليل القانوني لحماية التراث الثقافي ومكافحة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية المحمية، الجزائر، 2013م، ص ص. 01-14.

[19]-نفسه، ص ص. 16-26.

[20]- حاجي، ياسين رابح، "دور الاثار في تنشيط السياحة"، مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص بفعاليات اشغال الملتقى الثالث لقسم الاثار، المنعقد بمدينة تمنراست يومي 17-18 ديسمبر 2003م، العدد 05، 2003-2004، ص. 90.

- المراقبة المكثفة: قد لا تكون الدراسات والتشريعات كافية لحماية المباني التاريخية.

- التوعية: وتتلخص بتعريف المواطن على أهمية الآثار الثقافية والاقتصادية له ولغيره وانتهاز الفرص لإثارة اهتمامه بالتراث الحضاري وإشعاره بالمسؤولية.

- إشراك المواطنين في تحمل مسؤولية حماية التراث الحضاري الأثري والتراثي لتحسيسهم بالمسؤولية وتوعيتهم سواء كأفراد او جماعات او ضمن المجتمع المدني والجمعيات.

- تثمين المواقع الاثرية المحمية بمنطقة الزيبان وانشاء متاحف مواقع بها.

- تشجيع كل المبادرات التي من شأنها تطوير وخدمة المواقع الاثرية، وفي هذا الصدد، قامت بعثة الحفريات الاثرية بتهودة، بالتنسيق مع الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية – فرع بسكرة- بالتعاون مع جمعية "تراث الاجيال" بتدشين متحف صور بمسجد سيدي الصحبي بموقع تهودة الاثري يوم 29 ديسمبر 2015م، بحضور مسؤولة التراث الثقافي بمديرية الثقافة لولاية بسكرة السيدة حبة رابعة العدوية، وكل من مسؤول حفرية تهودة الدكتور ياسين رابح حاجي، واعضاء البعثة الاثرية، اضافة الى المهندس المعماري وليد حملاوي من الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية -فرع بسكرة- وممثلين عن المجلس الولائي والاساتذة المشاركين في الملتقى.

وجاء تثمين موقع تهودة الاثري نيتجة اتفاقية موقعة بين المدير العام للديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية عبد الوهاب زكاغ ومسؤول حفرية تهودة الدكتور ياسين رابح حاجي بتاريخ اوت 2015م.

المحور الخامس: دراسات حول المعالم الاثرية والتاريخية في المواقع المحمية وغير المحمية.

مكتشفات موقع تهودة الاثري

د. ياسين رابح حاجي[1]، وأ. رياض دحمان[2]، وأ. فتحي ريحان[3]، وأة. امال بودر[4]

يعتبر موقع تهودة[5] الاثري من اهم النقاط التي يرتكز عليها نظام الليمس[6]، الذي ضم في مجاله المعروف من خلال شبكة طرق عنكبوتية تربط مختلف النقاط المهمة كالحواضر والنقاط سَوقية الموجودة بمحاذاة الاراضي الزراعية المنتجة (**الخريطة 01**).



الخريطة 01: تمثل موقع تهودة الاثري من نظام خط الليمس وشبكته العنكبوتية في مقاطعة نوميديا.

عن: SALAMA, P., Les voies romaines de l'Afrique du nord, Alger, 1951, carte ht.

1- أستاذ محاضر "أ"، معهد الاثار، جامعة الجزائر2. البريد الالكتروني: hadjiyacinerabah@yahoo.com؛ yacinerabah.hadji@institut-archeologie.dz

2- ماجستير آثار قديمة، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2، واستاذ مساعد في قسم الاثار القديمة، جامعة قالمة 1945م. البريد الالكتروني: riadamane@yahoo.fr

3- طالب ماجستير آثار قديمة، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2، واستاذ مساعد في قسم العلوم الانسانية، جامعة تيبازة. البريد الالكتروني: fethirihane@yahoo.fr

4- طالبة دكتوراه آثار قديمة، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2. البريد الالكتروني: amel-bouder@live.fr

5- للمزيد من التفصيل يراجع: HADJI, Y-R., « Aperçu archéologique », in Aoures, 3, 2006, pp. 323-339.؛ حاجي، ياسين رابح، "المسح الاثري بموقع تهودة وضواحيه"، مجلة آثار، 11، 2014، ص ص. 33-54.؛ حاجي، ياسين رابح، "مكتشفات تابوديوس وبادياس الاثريتين"، مجلة آثار، عدد خاص بالملتقى الوطني الخامس حول "دور البحث العلمي في المحافظة على التراث الاثري"، يومي 18 و19 جانفي 2015م، 22 صفحة، سينشر قريبا.

6- إبان الفترة القديمة الرومانية والوندالية والبيزنطية الى غاية الفترة الاسلامية.

الموقع الفلكي لتهودة الاثرية:

احداثيات الموقع حسب جهاز التموقع الجغرافي هي: N’7.96”48°34، وE’43.98”53°5، ويوجد على ارتفاع 83م عن مستوى سطح البحر.

الابحاث الاثارية:

بعد التحري بالمنطقة عدة مرات ابتداءً من سنة 2003م، انطلقنا في الحفرية[7] سنة 2011م في شهر جوان كموسم اول في القلعة الاثرية والتي هي محمية اليوم بسياج وبحراس. كانت نتائج الموسم الاول متواضعة من حيث عدد المكتشفات ولكنها كانت جد مهمة من حيث الاهمية التأريخية، اذ استطعنا من تأريخ ولو بشكل نسبي الطبقة الاخيرة للاستقرار في الموقع والذي حدد في القرن الحادي عشر والثاني عشر ميلاديين.

يعتبر الموسم الثاني ديسمبر 2012م، بمثابة تكملة للموسم الاول لحفرية جوان 2011م، من خلاله جمعنا بعض الدلائل الاثرية الجديدة، وتصحيح بعض الاخطاء التي وقعت وتدارك بعض الهفوات التي فلتت منا في الموسم السابق. يمثل الموسم الثاني عملية مسح تخص الموقع والمنطقة المجاورة له، حيث نشرنا تقرير هذا الموسم في شكل مقال[8] في مجلة آثار العدد 11 لسنة 2014م. وخرجنا بنتائج مهمة[9].

خصص الموسم الثالث سبتمبر -اكتوبر 2013م للحفاظ على الهياكل المعمارية الاثرية القائمة داخل سياج الموقع المحمي. فبعد التشخيص والمعاينة الميدانية التي قمنا بها في الموسم السابق، توصلنا إلى أن حالة حفظ هذه الهياكل المعمارية جد متدهورة، وهذا يرجع إلى عدة عوامل تلف: -العامل الطبيعي الذي نتج عنه ظاهرة الحت بنوعيها الريحي والمائي التي اصابت معظم هذه الهياكل، اضافة الى –العامل البشري والمتمثل في عدم ادراج مخطط استعجالي للحفاظ على الهياكل المعمارية الظاهرة في الموقع، هذا مما دفعنا إلى سلوك مخطط استعجالي لغرض الحد من التدهور الذي يتعرض له الموقع وهياكله البنائية. قمنا كذلك بتنظيف الموقع لتحضيره للتنقيب في المواسم المقبلة، وذلك بنزع طبقات الردم الناتجة عن الحفريات السابقة، بما يسمى بالحمامات المنقبة في سنة 1901م من طرف العسكري توشار[10]. مما سمح لنا هذا التنظيف برفع جزء من مخطط الحمامات (**المخطط 01**) (**الصورة 01**) واستكماله في نوفمبر 2014م.

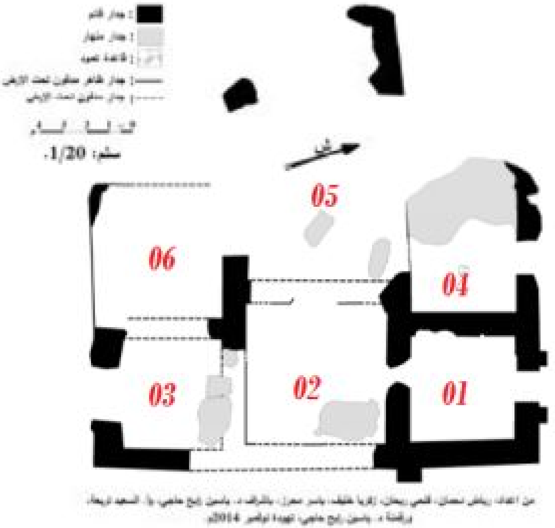
---

[7]- تعتبر اول حفرية جزائرية صرفة منذ الاستقلال الى يومنا هذا.

[8]- حاجي، ياسين رابح، المرجع السابق، مجلة آثار، العدد 11، 2014، ص ص. 33-54.

[9]- حاجي، ياسين رابح، المرجع السابق، مجلة آثار، عدد خاص بالملتقى الوطني الخامس حول "دور البحث العلمي في المحافظة على التراث الاثري"، يومي 18 و19 جانفي 2015م، 13، 2016.

[10]- TOUCHARD, J. L., « Notes sur les fouilles faites à Tehouda (cercle de Biskra) », in RSAC, 35, 1901, pp. 151-155.



المخطط 01: مخطط الحمامات بعد التنظيف الجزئي.

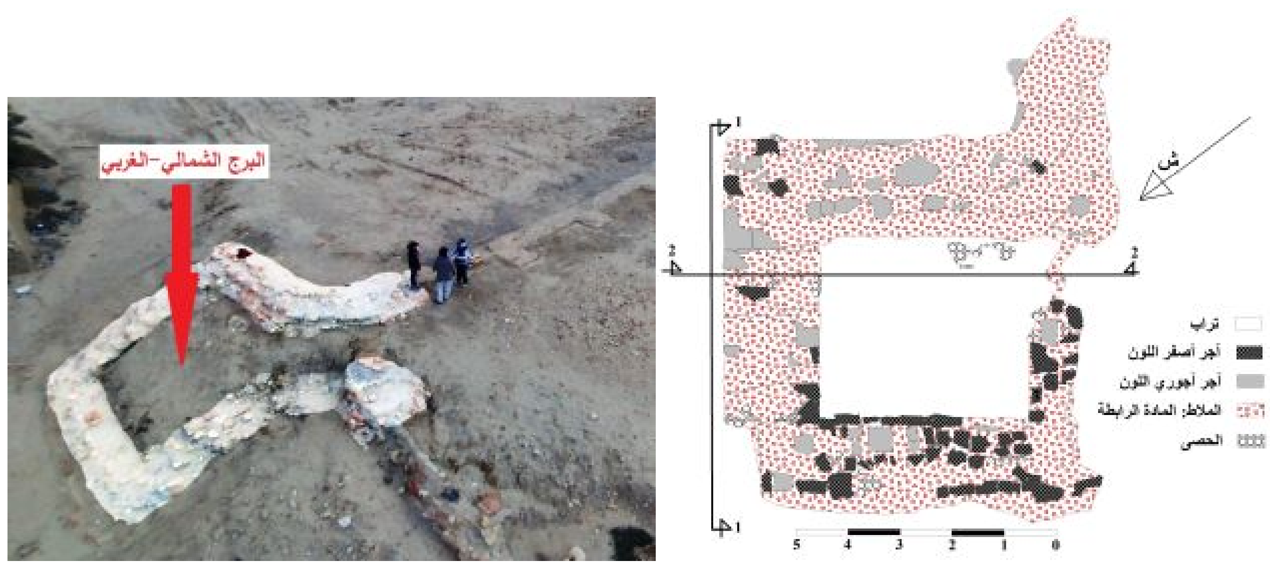
عن: حاجي، ياسين رابح، تهودة نوفمبر 2014م.



الصورة 01: الحمامات بعد التنظيف الجزئي.

عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2013م.

وكذلك نظفنا برج الزاوية الشمالي-الغربي للقلعة الاثرية القريب من الحمامات، تنظيفا سطحيا، وتحصلنا على مخطط (**المخطط 02**) و(**الصورة 02**) مشابه لمخطط برج الزاوية الشمالي-الشرقي الذي نقب فيه براداز[11].



المخطط 02: برج زاوية الشمالي-الغربي.

عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2013م.

الصورة 02: برج زاوية الشمالي-الغربي من الزاوية الشمالية-الغربية. عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2015م.

---

[11]- BARADEZ, J., Fossatum Africae, Recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine, Paris, 1949.

كما نظفنا مسار السور التحصيني بين الحمامات وبرج الزاوية الشمالي-الغربي وتحصلنا على منحناه في الفترة الاخيرة (القرن الحادي عشر والثاني عشر ميلاديين) من استغلال القلعة الاثرية (الصورة 03).



الصورة 03: السور التحصيني للقرن الحادي عشر والثاني عشر ميلاديين للقلعة الاثرية.
عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2013م.

كما نظفنا مسار السور التحصيني الغربي وخرجنا بملاحظات مهمة جدا في فهم حياة القلعة الاثرية، وهي:
-عثرنا على طبقة طينية (الصورة 04) تتمثل في ملاط طيني يستعمل في بناء الجدران الطينية التي تشبه تلك الموجودة في الكدية للمنازل، مما يوحي الى ان القلعة واصلت حياتها باستمرارية استغلالها ما بعد القرن الثاني عشر ميلادي، حيث لاحظنا جدران من الحصى تبنى كأسس للمباني الطينية في الطابع الصحراوي.



الصورة 04: الملاط الطيني الذي يعود للفترة ما بعد القرن الثاني عشر ميلادي فوق السور الغربي للقلعة الاثرية. عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2013م.

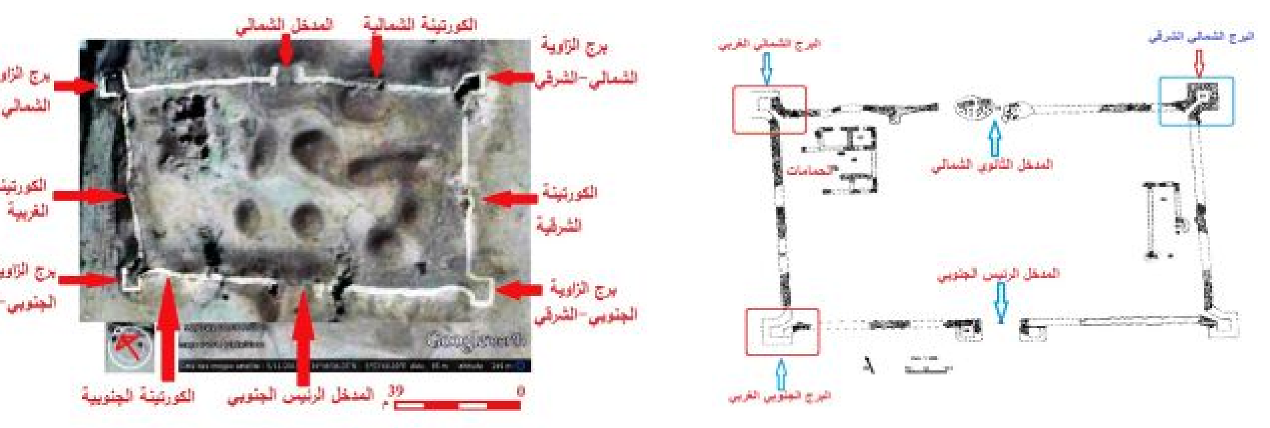
اما فيما يخص الموسم الرابع سنة 2015م، فقد استكملنا تنظيف سور القلعة الدفاعي الشمالي المحصور بين برجي زاوية الشمالي-الشرقي والشمالي-الغربي، حيث اكتشفنا باب ثانوي شمالي[12] الذي يقابل المدخل الرئيس الجنوبي.

---

[12]- أكدنا المعلومة التي تقدمنا بها في سنة 2005م من خلال مقال نشر في مجلة أوراس: HADJI, Y-R., Op. Cit., 2006, p. 333.

يتميز مخطط القلعة الاثرية تهودة بشكله المستطيل، ويتكون في الوقت الحالي من: السور الدفاعي التحصيني، مزود بملحقات تتمثل في المداخل، والابراج. بالإضافة الى وجود منشأة مائية ألا وهي الحمامات.

1. السور الدفاعي التحصيني: تتراوح ابعاد[13] السور الدفاعي التحصيني كما يلي: طول الكورتينة[14] الشمالية هو 120م، وطول الكورتينة الجنوبية هو 112م، وطول الكورتينة الشرقية هو 73م، اما طول الكورتينة الغربية فهو 65م. (**المخطط 03، والصورة الجوية 01**).



المخطط 03: المخطط الاول لقلعة تهودة الاثرية رُفع لأول مرة سنة 2005م. عن: حاجي ياسين رابح وتريعة السعيد: HADJI, Y-R. Op. Cit., 2006, p. 331.

الصورة الجوية 01: المخطط الحالي لقلعة تهودة الاثرية بتاريخ 2015/11/05م. عن: Google earth 2016.

ان الحفريات وعمليات التنظيف السطحي التي انطلقت في شهر ماي واستمرت في شهر ديسمبر اثمرت عن قراءة جديدة للسور الشمالي لقلعة تهودة الذي يشمل برجي زوايا وهما: البرج الشمالي-الشرقي والبرج الشمالي-الغربي، تربط بينهما كورتينة، مزودة بـ17 دعامة السور الداخلية (Contreforts). ويتوسط الكورتينة المدخل الثانوي الشمالي (**الصورة 05**).



الصورة 05: صورة جوية للموقع تبين المدخل الثانوي الشمالي ودعائم السور الداخلية.
عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2015م.

تم اكتشاف ارضيتي استقرار[15]، والتي ترجمت من خلال اختلاف في سُمك الكورتينة[16]، وفي مواد البناء،

---

[13]- HADJI, Y-R., Op. Cit., 2006, p. 330.

[14]- السور المحصور بين برجي مراقبة. تتميز هذه الكورتينة بمسارها غير المستقيم حيث تنطلق من البرج الزاوية الشمالي-الشرقي بخط مستقيم الى غاية المدخل الثانوي الشمالي ثم تنحرف بخط اخر مستقيم نحو برج الزاوية الشمالي-الغربي، اي ان المدخل الثانوي الشمالي يتقدم نحو الشمال.

[15]- ارضية استقرار = حقبة تاريخية.

ففي ارضية الاستقرار الاخيرة اي الفترة الاخيرة من عمر القلعة التي تعود الى القرن الحادي عشر والثاني عشر ميلاديين نجد أقل سُمكاً من سمك الفترة الاقدم منها (الصورة 06).



الصورة 06: ارضيتي استقرار على السور الدفاعي بعد التنظيف السطحي.
عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2015م.

اما بالنسبة لمواد البناء، ففي ارضية الاستقرار الاخيرة لم يتبقى سوى الملاط المكون من الحصى الصغيرة والجير الابيض والرمل، فيظهر لونه ناصع البياض، اما فيما يخص مواد البناء للفترة الاقدم منها، فتتمثل في: الاجر بلونيه الاصفر والاحمر، والملاط المكون من جير ورمل وفخار مدكوك ومكسر (الصورة 06).

بينما الدعائم السور الداخلية (Contreforts) الموجودة على طول الكورتينة، فمعدل مقاسات الفترة الاخيرة تتراوح بين: 0.90م×0.50م و1.20م×0.80م، ومقاسات الفترة الاقدم هي: 1.60م×1.35م (الصورة 05).

المداخل: احصينا مدخلان في القلعة الاثرية، الاول: يتمثل في المدخل الرئيس الجنوبي الذي اكتشف مع القلعة في الاربعينات من القرن الماضي، ولم يتبقى منه الا طرفي البوابة والباقي مدفون تحت الارض. اما المدخل الثاني: فيتمثل في المدخل الثانوي الشمالي الذي اكتشف اثناء موسم حفرية سنة 2015م من طرف البعثة الاثارية[17] بإشراف الباحث حاجي ياسين رابح.

16- سُمك الكورتينة على المخطط وليس سُمك الطبقة الستراتيغرافية للكورتينة.

17- تتكون البعثة الاثارية لموسم حفرية 2015م من طلبة آثار معهد الاثار/جامعة الجزائر2 دراسات عليا (ماجستير ودكتوراه علوم) الاتية اسماؤهم: دحمان رياض، وريحان فتحي، وبودر أمال، وقوقام ياسمين، وطلبة ليسانس وماستر الاتية اسماؤهم: بوشاوي حنان، ورابحي اسماء، وبن عفري عائشة، وغواس زهرة، وصافية شفيعة، وتميزار هواري، والمهندس المعماري حملاوي وليد من الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية/فرع بسكرة، بإشراف الدكتور حاجي ياسين رابح والاستاذ تريعة السعيد.



<u>الصورة 07:</u> صورة جوية للموقع تبين الحمامات والسور، وملحقاته: الأبراج والمدخلان: المدخل الرئيس الجنوبي والمدخل الثانوي الشمالي الذي اكتشف مؤخراً. عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2015م.

مواد وتقنية البناء: تتمثل مواد البناء المستعملة في بناء هذا السور من: الآجر المشوي[18]، مربع الشكل مقاساته 0.40م×0.40م، بلونين، الاحمر والاصفر[19]. وبإضافة الملاط الابيض اللون (مكوناته: الكلس الجيري + الرمل + آجر مسحوق + الحصى الصغيرة) وباستعمال حصى الوديان Galets.

اما فيما يخص تقنية البناء، فهي التقنية المختلطة Opus Mixtum، استعمل فيها صفوف من الاجر والحصى[20] بالنسبة للفترة الاخيرة من حياة القلعة، اما اسفل هذه الطبقة، فنجدها تشبه التقنية البيزنطية المستعملة في اسوار التحصينية لمدينة القسطنطينية التي تعود الى الفترة البيزنطية، حيث نجد سمك صف الملاط يساوي او اكبر بقليل من سمك الاجر[21].

<u>2. الابراج:</u> تتميز القلعة بأربع أبراج زاويا مربعة الشكل، ابعادها: 6.20م×3.80م[22] حسب مخطط برج الزاوية الشمالي-الشرقي لبراداز[23] على اساس انها كلها متساوية الابعاد، وحسب المخطط المنجز اثناء موسم الحفرية لسنة 2015م لنفس البرج فهي نفس الابعاد مثلها مثل ابعاد برج الزاوية الشمالي-الغربي، حتى الان يظهر منها ثلاثة فقط اما الرابع[24] فتظهر ملامحه مدفونة تحت الأرض (**<u>الصورة 07</u>**).

[18]- في الفرن الخاص به، حتى يصبح صلبا كالحجر.
[19]- HADJI, Y-R., Op. Cit., 2006, p. 332.
[20]- Ibid.
[21]- Ibid.
[22]- Ibid., p. 330.
[23]- BARADEZ, J., Op. Cit., p. 282.
[24]- هو برج الزاوية الجنوبي-الشرقي.

من بين الملاحظات الأولى حول الابراج، نلاحظ وجود طبقة سطحية من التربة الهشة ذات اللون الأصفر مختلطة مع بقايا النفايات[25] والرماد تخص السكان المحليين المجاورين للموقع قبل حمايته وتسييجه. وبروز الجزء العلوي من البرجين، المكون من الأجر ذو اللونين الأحمر والأصفر مع وجود ملاط وحجارة طبيعية مدمجة في البناية بشكل متجانس. كذلك توجد الطبقة السطحية للأجر المبني في حالة متقدمة من التدهور (تفتته بمجرد لمسه باليد المجردة). والملاحظ ايضا ان مستوى الأرضية من الجهة الخارجية للقلعة اقل ارتفاع مقارنة بداخلها.

بعد التنظيف السطحي للبرج الشمالي-الغربي في موسم حفرية 2014م (**الصورة 02**)، انطلقنا في اظهار البرج الجنوبي-الغربي في موسم حفرية 2015م (**الصورة 08**) لغرض معرفة الشكل العام للبرجين ونمط بنائهما (تقنيات ومواد البناء) ومقارنتهما مع البرج الشمالي-الشرقي الذي تم التنقيب فيه من طرف الباحث جون باراداز[26] (**المخطط 03**)، وكذلك بهدف إبراز معالم القلعة بصفة عامة واظهار حدودها كاملة.

الصورة 08: صورة جوية للموقع تبين البرج الجنوبي-الغربي. عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2015م.

تمكنا من الحصول على النتائج الأولية كالآتي :

بعد النزول حوالي نصف متر عن المستوى الارضية الحالي تم التوصل إلى ما يلي :

بروز طبقة من الرماد في البرج الجنوبي الغربي في الجهة الداخلية وعلى جدران البرج، المبني بالأجر الذي تظهر عليه أثار عملية حرق من نوع ما (**الصورة 08**). بقيت تربة الفضاء المحدد داخل البرج لينة ممزوجة بكم هائل من الحصى الطبيعية، على عكس الجهة الخارجية أين نلاحظ تغير في طبيعة التربة ولونها (إلى طينية صلبة ذات اللون الداكن)، عثرنا على شقفة من الفخار المحلي عليها أثار حرق في جهتها الخارجية (**الصورة 09**)، وعلى قاعدة لقارورة زجاجية وطبقة من التلبيس مزججة بفعل عامل الحرارة داخل البرج.



الصورة 09: شقفة من الفخار المحلي عليها أثار حرق. عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2015م.

25- HADJI, Y-R., Op. Cit., p. 332.; MORIZOT, P., « Regard sur les inscriptions de Thouda du XVIIIe siècle à nos jours », in CRAI, 2010, p. 822.

26- BARADEZ, J., Op. Cit., p. 282.

مقارنة بين ابراج القلعة: تتميز الأبراج بمخطط مربع الشكل جزء منه يتجاوز حدود القلعة، شبيهة بأبراج القلعة البيزنطية بتيمقاد من حيث الشكل[27]، اما من حيث تقنيات البناء فهي تشبه أبراج قلعة هنشير مديلة[28] بمنطقة نقرين. يتم الولوج إلى الأبراج عبر رواق مائل (Pan Coupé).

	البرج الشمالي الشرقي	**البرج الشمالي الغربي**	**البرج الجنوبي الغربي**
سنة التنقيب	جون براداز سنة 1949م. ياسين رابح حاجي موسم الحفرية 2013م (تنظيف).	موسم الحفرية 2015م.	موسم الحفرية 2015م.
المقاسات العامة	-الضلع الخارجي 5.50م. -الضلع الداخلي 3.30م. -عرض السور 1.90م. -عرض رواق المدخل 1.40م.	نفس المقاسات.	نفس عرض السور.
تقنيات ومواد البناء	التقنية المختلطة بين حصى الوديان + الأجر المحروق + الملاط.	نفس التقنية.	نفس التقنية.
النتائج المتحصل عليها	/	/	-وجود طبقة معتبرة من الرماد. -تلبيس مزجج. -قاعدة زجاج. -شقفة فخارية محلية.
الأعمال المنجزة	إعادة رفع مخطط في موسم 2015م.	مخطط أولي لموسم 2015م.	مخطط اولي موسم 2015م.

3. الحمامات: تحتل الحمامات الجهة الشمالية الغربية من القلعة الاثرية، يفصلها عن السور الشمالي للقلعة مسافة لا تتعدى المترين، وعن السور الغربي مسافة تقارب خمسة أمتار (**الصورة 07**).

إحداثياتها هي: "N 34°48‘07.27 و "E 05°53'39.09، وتوجد على ارتفاع 74م.

[27]- TROUSSET, P., « Les fines antiquae et la reconquête byzantine en Afrique », in BCTHS, fasc. 19 B, 1985, p. 373.

[28]- BARADEZ, J., Op. Cit., pp. 126, 127-128. ; DUVAL, N. ; SAXER, V., «Un nouveau reliquaire africain et l'évêché Midilensis», in Syria, LXXV, 1998, pp. 245-262. ; TROUSSET, P., Op. Cit., 1985, pp. 373-374.

تاريخ الأبحاث حول الحمامات: بنوع من التأني في معالجة المعطيات التي تناولت البحث في حمامات القلعة الاثرية، وبشيء من الدراسة النقدية للمراجع التي تطرقنا إليها، والتي تمليها علينا الموضوعية العلمية، ما تحصلنا عليه من معلومات، تذكر أن أولى الحفريات التي أجريت على الموقع، هي تلك التي قام بها النقيب توشار سنة 1899م، والتي من خلالها ذكر أن بقايا هذه الحمامات تعود للفترة الرومانية[29]، لكنه لم يقدم أي دليل علمي مادي حول هذا الطرح، بالإضافة إلى تقديمه لبعض المعطيات التي تحصل عليها والتي تتمثل في[30]:

- قاعة التعريق Sudatorium.
- بقايا نظام التسخين الهيبوكست Hypocauste[31].
- الفسيفساء التي وجدت بالحمامات.
- بقايا الأنابيب المصنوعة من الفخار طولها 0.20م والتي ذكر أنها لا تزال في مكانها داخل الجدران.

حاليا لا شيء مما ذكره توشار موجود سوى بقايا الأنابيب الفخارية المسؤولة عن تثبيت البلاطات الفخارية في الحمامات، لكنها الى حد الان غير موجودة في مكانها كما ذكر، بالإضافة إلى بقايا بلاطات فخارية كانت تشكل تلبيس (Revêtement) للجدران والمثبتة بواسطة هذه الانابيب الفخارية المذكورة آنفا.

أيضا ذكر قزال في الأطلس الأثري للجزائر الحمامات، واعتمد على وصف توشار خاصة[32].

قام باراداز هو الآخر بأبحاث في هذه الحمامات، وعلى عكس توشار، جزم باراداز أن الجزء الظاهر منها يمثل الطابق العلوي[33].

اعاد بيريبانت في مؤلفه "**المياه الرومانية، الأبحاث الهيدروليكية الرومانية في الشرق الجزائري**"، سرد ما ذكره توشار قبل سبعين عاما، من غير ان يكلف نفسه عناء البحث من جديد في هذه الحمامات بل اعاد واضاف أنّ أعمدة الهيبوكوست تبقى ظاهرة في غرفتين اثنتين من الحمامات[34]، وهذا ما لا نلاحظه في صور باراداز قبل خمسة عشر سنة، ولا يتوقف عند هذا الحد بل قام بنشر مخطط لا يمت بأية صلة بحمامات

29- TOUCHARD, J. L., Op. Cit., p. 151.

30- Ibid., pp. 151-155.

31- الهيبوكوست Hypocauste: هو نظام تسخين تحت أرضي يعتمد على حركة الهواء الساخن تحت القاعات الساخنة ومن ثم يمر عبر التجاويف الموجودة في جدرانها، وبالتالي يمنحها حرارة من جميع الجهات. والقائم على أعمدة من الآجر لا يتعدى ارتفاعها 0.50م يفصل الواحدة عن الأخرى مسافة متساوية، والأرضية محمولة فوق بلاطات حجرية ثم تغطى بارضية فسيفسائية.

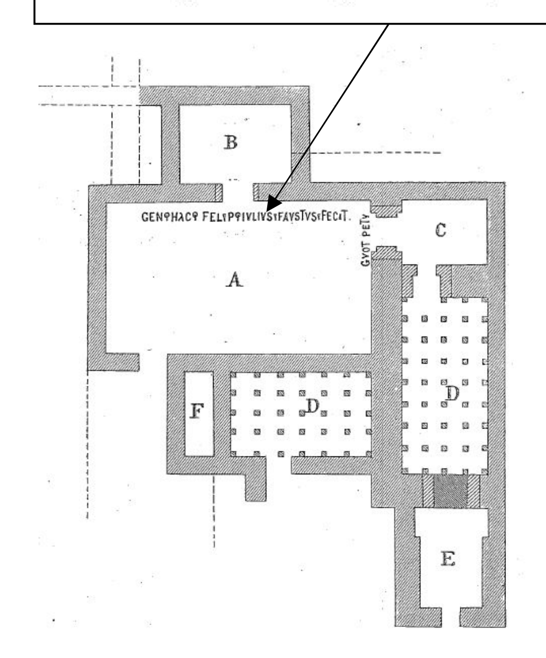
32- GSELL, S., Atlas Archéologique de l'Algérie, Paris, 1911, Fn° 49, n° 01.

33- BARADEZ, J., Op. Cit., p. 287.

34- BIREBENT, J., Aquae Romanae, recherches d'hydrauliques romaine dans l'est algérien, Alger, 1964, pp. 295, 296.

ثابوديوس، وإنما هو مخطط حمامات عين توتة[35] (**المخطط 04**) الذي وضع من طرف جوبير (Jaubert)، حيث عثر في القاعة الكبرى لهاته الحمامات والتي مقاساتها 7.60م × 4.45 م عثر على أرضية مبلطة بفسيفساء بالإضافة إلى نقيشة لاتينية:

GEN ♡ HAC ♡ FEL ♡ P ♡ IVLIVS ♡ FAVSTVS ♡ FECIT



المخطط 04: مخطط حمامات عين توتة والذي نشر على انه يخص حمامات القلعة الاثرية تهودة.

عن: JAUBERT, H., Op. Cit., p. 318.

قدم تيبار هو الآخر مخطط حمامات عين توتة على انه يخص ثابوديوس[36]، بنفس القياسات والشرح الذي قام به كل من توشار وبيريبانت.

من خلال ما سبق، ولتضارب المعطيات حول هذه الحمامات تتولد لدينا عدة أفكار حول حقيقة البحث فيها، هل كل هؤلاء الباحثين زاروا موقع ثابوديوس؟ وهل حقا قاموا بأبحاث حولها؟

من المرجح، أن لا احد من هؤلاء وقف على آثار حمامات ثابوديوس، ما عدا باراداز الذي لم يتبنى ما ذكره من سبقه من الباحثين، في حين كل من بيريبانت وتيبار كانت دراستهم تعتمد على البحث البيليوغرافي وليس على العمل الميداني من تحري ومسح.

مخطط الحمامات (المخطط 01): تبلغ مساحة الحمامات حتى الان حوالي 400م^2، رفعت كل غرفة من غرفه بدقة متناهية على حدى، ومن ثم تجميع مخططاتها في مخطط واحد جامع والذي أعطانا الرسم النهائي[37]،

35- JAUBERT, H., « Reliquaires d'enchir-akhrib et ruines romaines d'Ain-Touta », in RSAC, 37, 1903, pp. 317-323. ; MORIZOT, P., Op. Cit., p. 825.

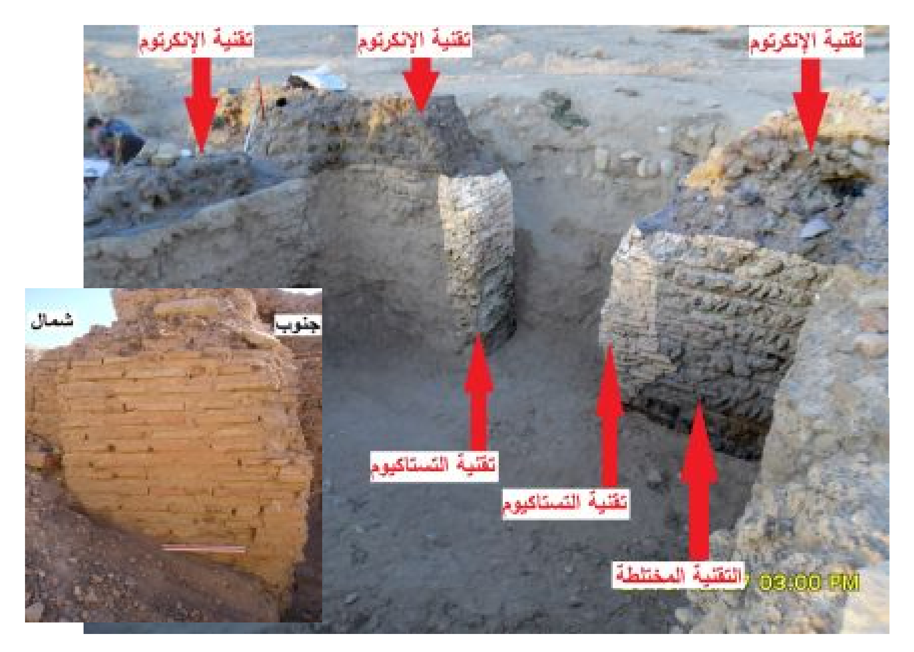
36- THEBERT, Y., Thermes romains d’Afrique du nord et leur contexte méditerranéen, EFR, Rome, 2003, p. 222, pl. 94.

37- حاجي، ياسين رابح، المرجع السابق، 2016، ص. 14.

ويدخل هذا المخطط ضمن نمط المخططات التناظرية، كما يصطلح على تسمية هذا النوع بالحمامات الإمبراطورية (في روما وفي مدن إفريقيا)[38].

الغرف ومداخلها : ما يظهر لحد الآن ستة غرف، خمسة منها مساحتها تقريبا متساوية عدا الكبرى التي تقدر مساحتها بـ 90م^2. أما مداخل الغرف، التي تظهر للعيان عددها سبعة، ثلاثة منها في الغرفة رقم 01، وخمسة في الغرفة رقم 02، وواحدة في الغرفة 03، واثنتان في الغرفة رقم 04. وجميع المداخل عقود نصف دائرية مبنية من مادة الاجر.

الجدران : تأخذ سمكا واحدا يقدر بـ 1م، بنيت بثلاث تقنيات (<u>الصورة 10</u>): تستعمل في التقنية الأولى المسماة بتقنية الإنكرتوم=Opus incertum الحجارة الدبشية والملاط داخل قالب خشبي، ثم تلبس بتقنية ثانية تتمثل في التقنية المختلطة=Opus Mixtum التي تقوم على وجود تقنيتين مختلفتين في تقنية واحدة حيث يتناوب في جدران هذه الحمامات صف من الآجر وصف من الحجارة الدبشية الكلسية صغيرة الحجم، والثالثة تقنية التستاكيوم=Opus Testaceum والموجودة في المداخل المبنية فقط بالآجر، بمقاسات متساوية معدل مقاساتها هي: الطول 0.25م والسمك 0.04م.

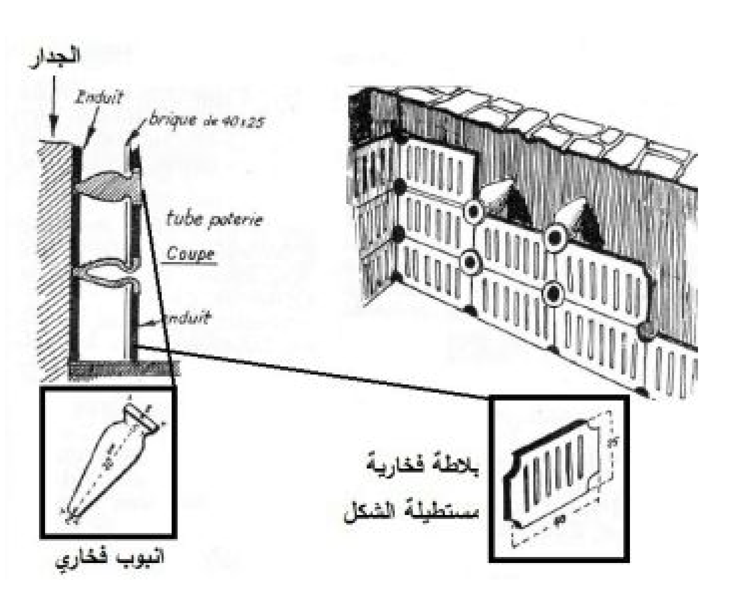


<u>الصورة 10:</u> ثلاث تقنيات انشائية في الغرفة رقم 01 من الحمامات.
عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2015م.

---

[38] - THEBERT, Y., Op. Cit., p. 285.

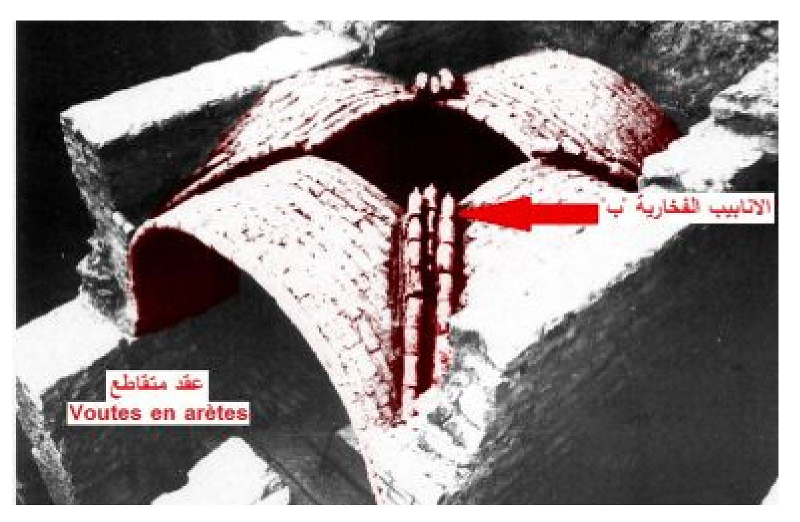
عناصر تلبيس الجدران: عثرنا اثناء عملنا الميداني على عناصر تلبيس الجدران الداخلية لغرف الحمامات[39]، وتتمثل في: بلاطات فخارية مستطيلة الشكل اركانها الاربع محذوفة بشكل ربع دائري، وانابيب فخارية[40] "أ" طولها يقارب 0.20م، كانت تستخدم كمثبتات للبلاطات فخارية بحيث تخلق فراغ بينها وبين الجدران كما هو موضح في الشكل (**الشكل 01**)[41].



الشكل 01: رسم توضيحي لعناصر تلبيس الجدران في الغرف الساخنة. عن: BIREBENT, J., Op. Cit., p. 296.

كما وجد بجدران الحمامات بقايا دبابيس معدنية مغروسة في الجدران الداخلية للغرفتين رقم 01 و02 و04، ومن خلال الدراسة المقارنة للعديد من الحمامات على غرار حمامات مادور، وتوبورسيكو نوميداروم، وكالما ...الخ، والتي كانت عبارة عن مماسك لألواح سواء طينية أو رخامية (لم نجد لحد الآن أي دليل مادي أو بقايا من ذلك)، ولكنها دون شك تؤدي الوظيفة ذاتها.

عناصر التسقيف: تشير كل المعطيات الاثرية المكتشفة في غرف الحمامات على انها كانت مسقفة بعقود متقاطعة voutes d'arêtes (**الصورة 11**)، وهي تقنية عادة ما تستعمل لتسقيف المساحات الضيقة، أو الغرف المركزية التي تتفرع منها غرف ثانوية، باستعمال الأنابيب الفخارية[42] "ب" حيث عثرنا على عدد منها لا يزال في الزاوية القائمة الشمالية الغربية للغرفة 02 (**الصورة 12**)، ومنها ما وجد في الردم.



الصورة 11: انابيب فخارية "ب" استعملت لتسقيف نموذجي لغرفة في موقع بولا ريجيا بتونس.

---

[39]- بالرغم من عدم وصولنا بعد الى نظام التسخين الموجود على الارجح في الطبقات السفلى الذي سيؤكد على وجود حمامات.

[40]- هناك نمطين من الانابيب الفخارية المكتشفة في الموقع: النمط الاول "انابيب فخارية أ" تستعمل لتثبيت البلاطات الفخارية المستخدمة كجدار داخلي للغرفة الساخنة او الدافئة.

[41]- BIREBENT, J., Op. Cit., p. 296.



الصورة 11: انابيب فخارية "ب" استعملت لتسقيف الغرفة 02 في الزاوية القائمة الشمالية الغربية. عن: حاجي، ياسين رابح، حفرية تهودة 2015م.

الخلاصة:

نستخلص من هذه المكتشفات وجود نشاط انساني كثيف اذا ما وسعنا زاوية الرؤية في منطقة تهودة وضواحيها ابتداءً من جلب المياه من المنابع الطبيعية عبر قنوات نقل مبينة تحت الارض او حفر الابار، وتوفير المادة الانشائية من الحجارة المنحوتة المجلوبة من الجبال المجاورة، واستعمال المادة المحلية من الطين وبقايا شجرة النخيل لخلق الحرارة اللازمة لصناعة المواد الانشائية الاخرى كالجير والآجر مثلا، وبناء حمامات مما يعطي لنا ولو فكرة وجيزة على النظافة الجسدية التي كان يوليها السكان، بالرغم من شح الامطار بالمنطقة التي تتميز بنقص في التمويل بالمياه، ثم تحصين المكان ببناء قلعة دفاعية لحماية الاراضي الزراعية المترامية هنا وهناك على طول الشريط الصحراوي الذي ينتمي الى الليمس جغرافيا، واثنيا، وحضاريا، واقتصاديا، ثم عسكريا، ومنه نستنتج ان الانسان البسكري القديم او الجزائري القديم احسن استخدام كل الوسائل والامكانات اللازمة والمتوفرة محليا لتحكمه في الطبيعة القاسية، وجعلها من اهم الاقطاب الامتياز اقتصاديا بالدرجة الاولى لتنشيط التجارة وبالتالي استيطان كثيف بالمنطقة، خاصة وان المؤرخين القدامى مثل كوريبوس في القرن السادس ميلادي، تغنى بمنطقة الليمس على انها من اخصب المناطق زراعيا وانها كانت تحصد الغلة مرتين في السنة

---

[42]- هناك نمطين من الانابيب الفخارية المكتشفة في الموقع: النمط الثاني "انابيب فخارية ب"، تستعمل للتسقيف لبناء العقود بشتى انواعها.

على عكس ما هو معمول به في الشمال في وقته، وحتى المؤرخ البكري في القرن الحادي عشر ميلادي، الذي مدح منطقة الليمس على انها ظلال في ظلال الى غاية وصوله الى شط الحضنة، هذا يدل على انه لا يزال الكثير لنعرفه من خلال ابحاثنا الاثارية في المنطقة لنزيل الغبار على تاريخنا المجيد الحافل بالامجاد.

مكتشفات العملات النقدية القديمة ببسكرة

إسعون رابح[1]

عرفت منطقة إفريقيا تواجدا حضاريا منذ الفترات الأولى لفجر التاريخ، تركت معظمها معالم أثرية كأدلة قاطعة عن بلوغها ذروة العطاء في العديد من المجالات وبالخصوص الجانب السياسي والاقتصادي، والميزة الأساسية لهذه التطورات هو اعتمادها على المجال التواصلي بين حضارة وسابقتها إلى حدود تسلسلها تسلسلا كرونولوجيا من خلال الإنجازات، فدراستنا لهذه المنطقة نكتشف هذا التباين من فترة إلى أخرى في العديد من الفصول، ففي الجانب الجغرافي والتاريخي شكل اختلافا واضحا من إقليم إلى أخر، تمليه التضاريس والإمكانيات الطبيعية من مكان إلى أخر، وهذا بالإضافة إلى الجانب الكرونولوجي الذي يحدد ظروف سياسية تختلف على حساب الأحداث من فترة إلى أخرى[2].

فإذا تطرقنا إلى الفترة الأكثر وجودا من الناحية الزمنية والجغرافية والتي هي فيها تواجد روماني في العديد من المجال نكتشف أيضا التأثيرات الزمنية والطبيعية على إقليم دون أخر، ولكن الميزة الأساسية لهذه الفترة الطويلة هي هذا النظام السياسي المرتبط بالمدينة العاصمة السياسية والاقتصادية وهي روما، رغم تباين المستوى الى أنها نظامها يبقى متشابه في معظم المقاطعات التابعة لها[3].

فدراستنا لعينة الفترة الرومانية في إفريقيا نخص بها الفترة الأكثر أحداثا سياسية واقتصادية وألا وهي فترة القرن الثالث ميلادي في المنطقة، ولكن قبل التطرق إلى محتواها بودنا الإشارة إلى البوادر الأولى للفترة الرومانية في المنطقة رغم أنه يصعب تقسيم الجغرافية في العهد الروماني في هذه الفترة.

الدراسة الجغرافية السياسية للعالم الروماني:

التواجد الجغرافي للحضارة الرومانية متباين من فترة إلى أخرى، فنشأة روما التي كانت عاصمة سياسية واقتصادية في ذروة وجودها يختلف من فترة إلى أخرى، ولكن يجب الإشارة إلى التوسعات التي جعلت منها من مدينة إلى إمبراطورية ممتدة تقريبا في ثلثي العالم القديم، ففي بداية توسعها كان على غرار التواجد الفينيقي على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، وبالخصوص عند تأسيس قرطاجة في إفريقيا

---

[1]- استاذ مساعد "أ"، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف. البريد الالكتروني: amawal76@yahoo.fr

[2]- LARONDE, A., L'Afrique Antique, Histoire et Monument, Ed.Tallandier, 2001, p. 86.

[3]- JULIEN, A-C., Histoire de l'Afrique du nord, Tunisie–Algérie-Maroc, Paris, 1931, p. 106.

الذي كان لها دور كبير في المنطقة إلى غاية وصولها إلى إمبراطورية في الإقليم الإفريقي ودخولها في صراع دائم مع روما وذلك لأهداف توسعية على الأراضي ومحاولة بناء حضارة تكون أكثر امتدادا من الأخرى، ولهذا كان السبب في دخول الإمبراطوريتين في صراع دائم أدى إلى تغيرات سياسية واقتصادية وحتى جغرافية في العالم القديم[4].

نهاية الصراع القرطاجي والروماني كان بتدمير المدينة الأولى سنة 146 ق. م، وفتح المجال أمام التوسع الروماني في إفريقيا، كان بمراحل تتخللها فترات المقاومات الشعبية وهذا ما جعل روما تترصد في كل مرحلة، ومن أوائل الحضارات التي صنعها المحليين، على حساب المؤرخين، نذكر الحضارة النوميدية التي كان فيها ماسينسا حليف روما، ملك محلي وامتازت فترة حكمه بالازدهار الاقتصادي والسياسي في جميع المجالات، ولكن نهايته جعلت المنطقة تدخل في نفق أخر وهو عبارة عن تمهيد أخر للزوال، حيث أن وصول الملك يوبا الأول الى الحكم الذي دخل في صراع مع روما بمساندته للتيارات المتصارعة في روما، عجل في ظهور إفريقيا جديدة، تحت زعامة الملك يوبا الثاني الذي تعلم أبجديات الحكم في روما[5].

تولي يوبا الثاني الحكم في إفريقيا هو عبارة عن تواجد روماني بكيفية غير مباشرة، حيث أن كانت روما هي التي تمد بقوانين التسيير وسياسية الحكم ليوبا الثاني، وبحيث أنه كان يحكم المقاطعة تحت إسم "موريطانيا القيصرية" وذلك في القرن الأول قبل الميلاد الى حدود بداية القرن الأول ميلادي[6].

تولي "بطليموس" الحكم، كان له بداية التواجد الروماني في إفريقيا بطريقة مباشرة، حيث أن هذا الملك قتل من طرف أحد الملوك الرومان، وكان للمجلس الشيوخ الروماني دورا في ذلك، من أجل تطبيق اتفاقيتها مع قيصر وتقسيم شما إفريقيا إلى مقاطعات[7].

وبهذا دخلت إفريقيا في نظام المقاطعات الرومانية والسياسة المملية من طرف روما، وخلال هذه الفترة كانت هناك مقاومات شعبية من فترة إلى أخرى وفي كل مرة تخمد من طرف الأباطرة. في حدود التواجد الروماني في القرن الثاني والثالث كان له في معظم العالم القديم، ولكن هذا عبارة عن سبب من الأسباب التي تعرقل السيطرة السياسية من طرف روما وبالخصوص أن الرقعة الجغرافية كانت شاسعة جدا وبدأت البوادر الأولى للصراع في مجلس الشيوخ الروماني، وهذا ما عجل حدوث انشقاقات في المقاطعات الرومانية، وبالخصوص المقاطعات الإفريقية ودخول عامل أخر في المعادلة السياسية هو الجانب العقائدي حيث أن الديانة المسيحية، كانت ديانة الشعبية دون أن تكون رسمية وكان المسحيين مضطهدين في العديد

---

[4]- BATTANDIR, J-A. ; TABUT, L'Algérie, le sol et les habitants, Paris, 1988, p. 121.

[5]- GAID, M., Les berbères dans l'histoire de la préhistoire à la Kahina, I, Edition Mimouni, 1990, p. 142.

[6]- PERROT, M- G., Recherche des antiquités dans le nord de l'Afrique, Paris, 1890, p. 192.

[7]- MERCIER, E., Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française, Paris, 1891, p. 41.

من أنحاء المقاطعات، وبذلك بدأ عدم التنسيق بين الأباطرة الإفريقيين وإفريقيا، هذا ما جعل روما ترسم الديانة المسيحية كرسمية في جميع مقاطعتها وبالخصوص الإفريقية[8].

وبالنسبة للمقاطعات الإفريقية، لم يكن لاعتبار المسيحية كديانة رسمية بمثابة الحد للمقاومات الشعبية وإنما هي عبارة عن حل كما تراه روما لغرض إخماد الثورات، ولكن بالنسبة للمحليين لم يكن لها أثر بالخصوص أمام ضعف الأباطرة المعينون في المقاطعات الإفريقية[9].

الأزمة الاقتصادية الرومانية في القرن الثالث ميلادي:

شاسعة مساحة الإمبراطورية الرومانية (**الخريطة 01**)، وحدوث انشقاقات في مجلس الشيوخ الروماني هو بمثابة الضربة الأولى التي آل عليها العالم الروماني، حيث بدأت الاختلالات السياسية في العالم الروماني تتأثر بها القطاعات الأخرى وبالخصوص القطاع الإنتاجي، حيث أن عدم التحكم في المقاطعات الرومانية، أنتج مقاومات وثورات شعبية، وبدأت الفوضى تحتل الميادين إلى حدود انتشار عدم الاستقرار في جميع الميادين، بحيث أن فقد الفلاح تلك النزعة الإنتاجية، نتيجة تعرض محاصيله للنهب، هذا أدى بطريقة عاجلة إلى فقدان كمية الإنتاج وحتى الجانب الصناعي تأثر بكيفية واضحة، وهذه الوضعية تتطلب استيراد المواد الاستهلاكية لغرض الاكتفاء الذاتي، وهي أول بوادر الأزمة الاقتصادية للعالم الروماني[10]

الخريطة 01: خريطة توضح أماكن ورشات ضرب القطع النقدية في القرن الثالث ميلادي. عن: Jani Niemenmaa, http://www.cartesfrance.fr/histoire/cartes-gaule-romaine/carte-empire-romain.html

وكان من بين مظاهر الأزمة الاقتصادية فقدان السيطرة على الحكم ونقص الإنتاج المحلي، وبالخصوص انتشار الفوضى في المقاطعات الرومانية، وبالخصوص انهيار المستوى الاقتصادي للمقاطعات وعدم استغلال الأراضي الزراعية بنفس الكيفية التي كانت عليها. وكل هذا من الناحية التقنية نستطيع لمسه من الجانب النقدي، حيث أن ضرب القطع النقدية، كما هو معروف لدى المختصين، هو

[8] JULIEN, A-C., Op. Cit., p. 220.
[9] MUSSO, J-C., Dépôts rituels des sanctuaires ruraux, Casterman S.A, 1991, p. 125.
[10] TISSOT, M., Géographie des provinces romaines de l’Afrique du nord, Paris, 1985.

عبارة عن مظهر من مظاهر السلطة سياسيا واقتصاديا وحتى هو دليل لوجود دولة أو إمبراطورية منظمة[11].

ولضرب القطع النقدية معايير وقيم، وهي بمثابة اتفاقية اقتصادية بين طرفين ذات طابع رسمي، فتغير في النقود أو في كيفية أو معايير الضرب هو دليل عن تغير اقتصادي، فرضته ظروف سياسية أو طبيعية، وحتى عند وجود حروب وأزمات[12].

من بين المعايير الأساسية في التقييم النقدي للعملات، نذكر:

المعدن: كما هو معروف مند الفترات القديمة وبالخصوص في الفترة الرومانية، معدن الذهب هو الأغلى من ناحية صرب القطع النقدية، فضرب القطع النقدية الذهبية هو دليل على التنمية الاقتصادية والقطعة النقدية الذهبية غالية غلى القطعة النقدية الفضية وهذا أثناء التعامل بها في الأسواق[13].

الحجم: حجم القطع النقدية هو دليل على اختلاف قيمها النقدية، كلما كان الحجم كبير كلما كانت القيمة النقدية كبيرة.

الرموز: الرموز هي بمثابة دعاية سياسية ورمز السيادة، فهي في معظم الفترات دليل على تقييم النقد من الناحية الاقتصادية.

القلادات: هي رمز القدرة والتطور والوعي السياسي والاقتصادي[14].

ومن أجل دراسة الأزمة الاقتصادية في العالم الروماني، نحاول دراسة نقود الفترة التي سبقت الأزمة وكيفية التعامل بها ودراسة العملة أثناء فترة الأزمة الاقتصادية كما يلي:

1- دراسة العملات الرومانية قبل الأزمة الاقتصادية:

كانت العملات الرومانية، متعددة وتعتمد في أوائل وجودها على النظام ذات معدنين، والورشة الأساسية هي ورشة روما وكانت تضرب القطع النقدية أمام المعابد وهذا لإعطاء لها القيمة التقديسية، لأن العملة هي صورة الإمبراطور، ويمنع منعا باتا تقليديها أو وضعها في أماكن غير لائقة وهذا بالإضافة إلى فرض عقوبات على محاولة تشويه قطعة نقدية رسمية، وهذا يبين مدى القيمة التي كانت روما تمنحها للقطع النقدية[15].

---

[11]- BABELON, E., Description historique et chronologique des monnaies de la république Romaine, Paris, 1, 1885, p. 200.

[12]- BLANCHET, A., Les monnaies Romaines, Paris, 1896, p. 511.

[13]- BOURGEY, S., Le grand atlas, les monnaies du monde des pièces de l’Antiquité jusqu'à l’euro, Italie, 2004, p. 241.

[14]- COHEN, H., Description historique des monnaies frappées sous l’empire Romain, Paris, 1880, p. 421.

[15]- CARRIE, J-M. ; ROUSELLE, A., L’empire romain en mutation, des Sévères à Constantin, 192-337, Paris, 1999, p. 240.

كانت العملات تتطور كلما وصلت إلى احتلال مقاطعة جديدة، في أول وهلة وضعت ورشات متنقلة، حيث أن تمنح لها سلطة ضرب القطع في أماكن الثكنات العسكرية وبقيم محدودة وذلك من أجل دفع أجور الجنود وكذلك تحسين ظروف إقامتهم، من جهة، وتحصينها من التقليد والرقابة من جهة أخرى[16].

و نحاول دراسة نماذج من العملات الأولى للتوسعات الرومانية :

أ - عملة ترايانوس117 م[17]:



هذه العملة النقدية للملك ترايانوس، مؤرخة في بداية القرن الثاني ميلادي، هي عملة كبيرة الحجم، فضية، كان التعامل بها في إفريقيا . توضح هذه العملة النقدية مدى التحكم في ضرب العملة، بحيث أنها مازالت في حالت حفظ جيدة.

ب - عملة cupiana كبيانا 147 م[18]:



هذه العملة الفضية لكبيانا المضروبة في ورشة روما توضح مدى الاهتمام بالجانب التقديسي للعملات الرومانية في هذه الفترة

2 - دراسة نموذج العملات أثناء الأزمة الاقتصادية:

أثناء الأزمة الاقتصادية لوحظ تراجعا واضحا في استعمال المعدن النفيس، وأصبح معدن البرونز هو المستعمل بشكل كبير، والاختلاف موجود فقط في الحجم والذي غالبا ما يستعمل في تحديد قيمة العملة النقدية، وهذا بالإضافة إلى إعادة تذويب العملات الفضية[19].

16- BOURGEY, S., Op. Cit., p. 321.

17- COHEN, H., Op. Cit., p. 251.

18- HILL, P. ; CARSON, R. A. G. ; KENT Gp., Late Roman bronze coinage A.D. 324-498, London, 1960, LRBC, p. 741.

19- CARRIE, J-M. ; ROUSELLE, A., Op. Cit., p. 470.

عملات كنز 'أوطون" AUTUN بفرنسا":



هذه العملات من عملات القرن الثالث ميلادي، وهي من كنز نقدي معثور عليه أثناء حفرية "أوطون" بفرنسا، يوضح هذا الكنز مدى استعمال البرونز في ضرب القطع النقدية وبكيفية كبيرة.

توضح هذه القطع النقدية مدى، تأثير الأزمة الاقتصادية على العملات وبالخصوص أن في هذه الفترة شملت كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية وكانت من القرارات التي أخذتها روما للحد من هذه الأزمة هو إعطاء الرخصة لضرب القطع النقدية بالخواص باعتمادها من طرف المقاطعة وهذا ما أدى إلى ظهور ورشات دون رقابة ونذكر منها المقاطعة الشرقية لأفريقيا[20]. حيث وجدنا قطع نقدية مقلدة وآلة ضرب عملات من الطينة، وسوف نعرج عليها فيما يلي:

أثر الأزمة الاقتصادية على المقاطعة الشرقية لإفريقيا:

قمنا بتربص ميداني لفائدة طلبة الآثار لشعبة علم الآثار /كلية العلوم الإنسانية/جامعة الشلف في إطار محاولة اكتشاف الآثار منطقة بسكرة التي فيها أيضا أثارا تعود للفترة القديمة، وعثرنا على العديد من القطع النقدية بنفس شكل القطع المشار إليها في كنز "أوطون" الموجود بفرنسا، ولكن أثناء التمحيص في هذه القطع النقدية، وجدنا أثار تدعو أن نشك في شرعيتها بشكل واضح، حيث أن حدث لصق جانبين من القطعة للوصول إلى قطعة نقدية موحدة، وهذا بالإضافة إلى عثورنا على قالب ضرب العملات من مادة الطين المحروق مكسورا، مثل القالب المعثور عليه في ضواحي بسكرة "لقسنطنيوس" 336 م.



قالب عملة نقدية مزورة تعود الى القرن الرابع ميلادي، اسعون رابح، 2014 ، محفوظ حاليا بموقع تهودة الاثري ، تحت رقم 07.

CALLU, J-P., La politique monétaire des empereurs romains de 238 à 311, Paris, 1969, p. 320. -[20]

ولكن أثناء الدراسة البيبليوغرافية اكتشفنا أن ضرب العملات في الفترة الرومانية يتلف عمدا لغرض عدم استعماله مجددا للحفاظ على كمية القطع النقدية المضروبة. وهنا نتطرق إلى محتوى هذه التحف الأثرية التي تعتبر كنز للمنطقة، حيث أنه يبين تواجدها أثناء فترة كبيرة في تاريخ إفريقيا وفي الجانب الاقتصادي، وهذا بالإضافة إلى مدى تواجدها في الميدان السياسي والاجتماعي في الفترة القديمة، بحيث تجدر الإشارة أن هذه الآثار المتعلقة بالنقود وجدناها في العديد من المناطق من بسكرة.و القالب الذي ضربت به يشبه الى حد كبير القالب الطيني المعثور عليه في العديد من المناطق للإمبراطورية الرومانية خلال نفس الفترة، مثل هذا القالب الطيني في الصورة الموالية.



يمثل قالب طيني يعود للملكة " يوليا دومنا". عن Collection Frédéric Weber

- عرفت خلال الفترة الرومانية ضرب القطع النقدية على أساس السلسلة*، بإختلاف النماذج التي تحتويها.

- السلسلة هي مجموع القطع النقدية المضروبة في نفس الفترة، العائدة الى إمبراطور أو مدينة معينة، و مختلفة المقاسات و المحتوى، إلا أنها تمثل قيمة نقدية لها علاقة نسبية مع الأخرى.

<u>دراسة القطع النقدية المعثور عليها:</u>

نموذج من القطع النقدية المكتشفة في بسكرة.



قطعة نقدية أصلية والتي تمثل العملة المضروبة شرعيا.

استنتاجات :

من خلال دراستنا لمحتوى الأزمة الاقتصادية الرومانية في إفريقيا، وفي العالم الروماني بكيفية عامة نستنتج أن مدينة بسكرة التي هي جزء من العالم الروماني بالخصوص في فترة الأزمة الاقتصادية، شكلت تواجدا مهما وذاك من خلال الآثار القائمة إلى حد اليوم، ومن خلال التحف المعتمد عليها توصلنا إلى:

- إمكانية وجود ورشة ضرب القطع النقدية في المنطقة خاصة في القرن الثالث ميلادي أي أثناء الأزمة الاقتصادية ودليلنا هو وجودها في أماكن عديدة للمدينة، أي إبعاد احتمال تواجدها بالصدفة.
- استغلال المنطقة بصفة رسمية وبها أحداث سياسية مهمة، دليل وجود القطع النقدية المزورة، يعني هناك تقدم اقتصادي إلى حدود البحث عن وسائل الربح بكيفية غير مشروعة واستغلالها في كسب المزايا.
- احتمال وجود ثورات شعبية ضد القرارات الرسمية.

المحور السادس: صيانة وترميم المواقع الاثرية والتاريخية.

LUMIERE ET ARCHITECTURE DANS LES MOSQUEES DE LA PERIODE AGHLABIDE

Azeddine BELAKEHAL[1]

Introduction :

La dynastie Aghlabide couvrit l'actuelle Tunisie, la Tripolitaine et une majeure partie de l'Algérie orientale durant l'ère allant de 800 à 909[2]. Elle est contemporaine, dans le Nord-Africain, des dynasties Idrisside et Toulounide respectivement au Maroc et en Egypte. De cette période, l'héritage légué par les Aghlabides est plus que remarquable, des infrastructures hydrauliques, des fortifications de villes, des établissements fortifiés (Ribat) et une architecture religieuse notoire. C'est à cette dernière catégorie d'héritage Aghlabide que s'intéresse cette recherche et plus particulièrement aux dispositifs d'éclairage naturel qui lui seraient particuliers. Il est d'abord à rappeler que similairement aux autres religions du livre, la lumière revêt un statut divin en Islam[3]. Une Sourate coranique est spécifiquement dédiée à la lumière et la valorise en tant que symbole divin : «Allah est la lumière des cieux et de la Terre. Sa lumière est semblable à une niche où se trouve une lampe. La lampe est dans (un récipient de) cristal et celui-ci ressemble à un astre de grand éclat»[4].

Dans les édifices du monde musulman et ceux religieux en particulier, la lumière possède un caractère spirituel et symbolique[5]. Cette particularité qui se manifeste dans l'architecture générale des mosquées mais aussi dans ses détails constructifs, est à l'origine de sensations, impressions voire émotions vécues par l'usager. La description que donne le voyageur Ibn Battuta de la mosquée du Dôme du Rocher, a Jérusalem, illustre un tel rapport sensoriel : '*C'est un édifice des plus merveilleux, ….. La plupart de toutes ces choses sont recouvertes d'or, et la chapelle resplendit de lumière et brille comme l'éclair. La vue de celui qui la regarde est éblouie de ses beautés, la langue de qui la voit est incapable de la décrire*'[6]. Cet ensemble de conduites perceptives, englobant ce qui revient aussi bien à l'individu en soi qu'à son groupe social, est abordé dans la présente recherche au moyen de la notion d'ambiance.

---

[1] - Professeur au sein du département d'architecture/Université de Biskra/Laboratoire de Conception et de Modélisation des Formes et des Ambiances Urbaines et Architecturales (LACOMOFA). Email : a.belakehal@univ-biskra.dz

[2] - VONDERHEYDEN, M., 1927, La Berbérie Orientale sous la Dynastie des Benou-l'Aghlab (808-909), Paris: Geuthner.

[3] - BEHRENS-ABOUSEIF, D., 1999, Beauty in Arabic Culture, Princeton: Markus Wiener Publishers. ; IRWIN, R., 1997, Le Monde Islamique, Paris : Flammarion.

[4] - Coran, Sourate 24, verset 35

[5] - ZIANI, A.; BELAKEHAL, A., 2014, « Spatialités lumineuses des medersas du Maghreb », Communication présentée lors du Colloque International La lumière dans les religions du livre : Une approche pluridisciplinaire, Beyrouth, décembre 13-14. ; BELAKEHAL, A.; TABET AOUL, K.; BENNADJI, A., 2004, « Sunlighting and daylighting strategies in the traditional urban spaces and buildings of the hot arid regions», in Renewable Energy International Journal, 29, pp. 687-702. ; GONZALEZ, V., 2001, Beauty and Islam, Aesthetics in Islamic Art and Architecture, London: I. B. Tauris Publishers in association with The Institute of Ismaili Studies.

[6] - IBN BATTUTA, 1982, Voyages de l'Afrique du Nord à la Mecque, Traduit par Charles Defremery et Beniamino Raffaello, Paris : Librairie François Haspero, pp. 130-131.

De l'ambiance :

Le terme ambiance indique un milieu qui nous entoure, qui nous environne, enfin un contexte dans lequel on se localise. Il s'agit ainsi d'une situation qui peut réunir un environnement et la (ou les) personne qui s'y trouve[7]. Cette notion apporte certes des éléments nouveaux pour l'étude des stimuli physiques au sein des espaces construits dont l'exigence de la plurisensorialité. Néanmoins, c'est la prise en compte de l'espace architectural comme composant influent dans la caractérisation d'une ambiance qui la distingue des autres approches se penchant sur le même problème telles que la philosophie qui centralise sur l'effet émotionnel[8], l'ergonomie de l'environnement qui s'intéresse principalement aux caractéristiques humaines physiologiques[9] et de la psychologie de l'environnement qui se base sur les aspects psychosociologiques de l'individu[10].

Conceptuellement parlant, il est possible de définir l'ambiance comme une interaction complexe d'influences réciproques[11] entre (**Fig. 01**):

- Contexte du lieu où se situe l'espace architectural (climat, culture, société)
- Espace architectural (conformation, activités ou usage…)
- Environnement physique relatif au stimulus (thermique, lumineux, sonore, olfactif, aéraulique…)
- Usager (perception et comportement).

Dans cette recherche, l'attention est focalisée sur les ambiances lumineuses de la mosquée aghlabide. Elle recherche les dispositifs architecturaux mis en faveur de la création d'un environnement lumineux capable d'être sensoriellement transmis aux usagers du lieu et de là à concrétiser les qualités spirituelles associées à la lumière divine tant évoquée par la théologie islamique. Cette étude explore donc une ambiance patrimoniale qui n'est plus de nos jours mais dont la connaissance est nécessaire à plus d'un titre (histoire de l'art et de l'architecture ainsi que la préservation patrimoniale). Cela exigerait bien évidemment un développement méthodologique spécifique au sein du champ des ambiances[12].

---

[7] - BELAKEHAL, A., 2013, « De la notion d'Ambiance », in Courrier du Savoir Scientifique et Technique, 16, pp. 49-54. ; AMPHOUX, P. (sous la direction de), 1998, La Notion d'Ambiance, Une Mutation de la Pensée Urbaine et de la Pratique Architecturale, Paris : Plan Urbanisme, Construction, Architecture. ; AUGOYARD, J-F., 1998, « Eléments pour une théorie des ambiances architecturales et urbaines », in Les Cahiers de la Recherche Architecturale, 42/43, pp. 13-23. ; LASSANCE, G., 1998, Analyse du Rôle des Références dans la Conception : Eléments pour une Dynamique des Représentations du Projet d'Ambiance Lumineuse en Architecture, Thèse de Doctorat, Université de Nantes.

[8] - KAUFMANN, P., 1999, L'expérience émotionnelle de l'espace, Paris : Libraire philosophique J. Vrin.

[9] - PARSONS, K-C., 2000, «Environmental ergonomics: a review of principles, methods and models», in Applied Ergonomics, 31, pp. 581-594.

[10] - FISCHER, G-N., 1997, Psychologie de l'Environnement Social, Paris : Dunod.

[11] - BELAKEHAL, A.; BENNADJI, A.; TABET AOUL, K., 2009, « Towards an occupant based conceptual model, Case of the natural luminous ambience», Communication présentée lors de la conférence internationale Passive and Low Energy Architecture' 2009 (PLEA), Quebec City, Juin 22-24.

[12] - BELAKEHAL, A., 2012, « Les ambiances patrimoniales. Problèmes et méthodes », Communication présentée lors du 2nd Congrès International sur les Ambiances, Montréal, Septembre 19-22.

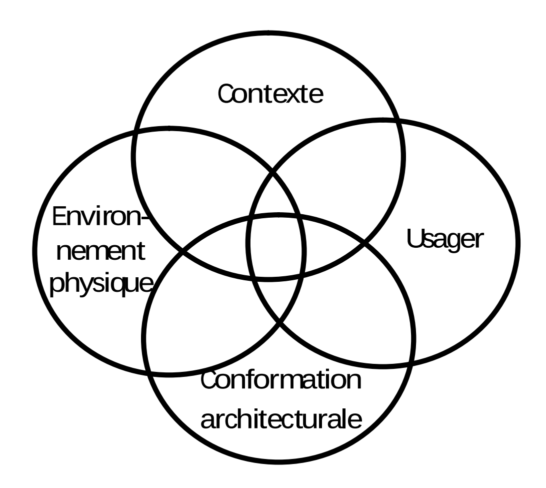


Fig. 01 : Modèle conceptuel de la notion d'ambiance
(Source : Auteur).

Protocole méthodologique :

Mesurer l'ambiance reviendrait à caractériser objectivement ses composantes telles que définies au sein de son modèle conceptuel. Il s'avère que ceci nécessiterait des études aussi bien qualitatives que quantitatives. Ainsi, les qualités spatiales du lieu (caractéristiques morphologiques et surfaciques) de même que les activités mentales et corporelles rattachées au lieu (émotions, représentations, appropriations…) sont rangées en tant qu'études qualitatives ; la mesure des phénomènes physiques (lumière, son, odeur…) est plutôt décrite comme étant quantitative. Seules les qualités spatiales du lieu en termes d'ambiance sont prises en compte dans la présente étude. Il y sera donc question d'approfondir concrètement un modèle partiel de celui conceptuel ; en l'occurrence celui de la conformation architecturale dans sa relation à l'environnement physique lumineux au sein d'un contexte spécifique.

Ainsi et d'un point de vue conformationnel, les sources d'éclairage naturel pour un espace architectural quelconque sont au nombre de trois : i) le soleil et/ou le ciel, ii) l'environnement extérieur immédiat, et iii) l'environnement interne[13] (**Fig. 02**). L'acheminement de la lumière naturelle depuis les deux premières sources vers l'espace intérieur se fait au moyen de dispositifs architecturaux consistant essentiellement en percements. La troisième source se constitue des formes de l'espace en soi et des matières dont il est revêtu.

---

[13] - FONTOYNONT, M. ; PERRAUDEAU, M. ; AVOUAC, P., 2011, Construire avec la lumière naturelle. Paris : CSTB.; BAKER, N-V.; STEEMERS, K., 2002, Daylight Design of Buildings, London: James and James. ; BAKER, N-V.; FANCHIOTTI, A.; STEEMERS, K., 1993, Daylighting in Architecture: A European Reference Book, Londres: Routledge.

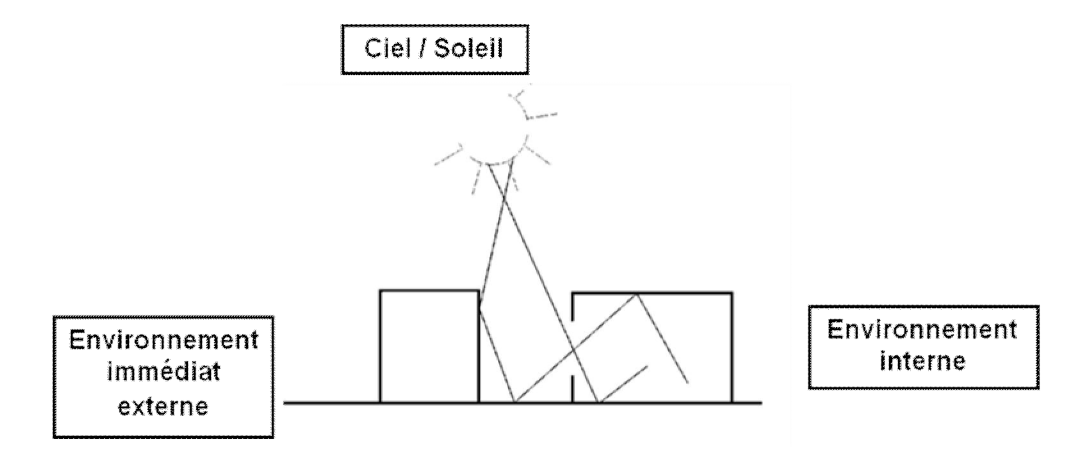


Fig. 02 : Modèle conceptuel partiel de la notion d'ambiance spécifique aux sources d'éclairage naturel pour une conformation architecturale (Source : Auteur).

Sur la base de cette opérationnalisation du modèle conceptuel partiel, un inventaire des divers dispositifs d'éclairage naturel sera établi pour le cas des mosquées du corpus d'étude. Cet inventaire permettra d'identifier et catégoriser les dispositifs urbains et architecturaux contribuant à la création d'un environnement physique lumineux. Ensuite, une lecture conformationnelle est menée sous deux aspects : i) typologique permettant de distinguer les dispositifs d'éclairage latéral de ceux d'éclairage zénithal, et ii) topologique faisant apparaitre les polarisations spatiales géométriques (centre, axe et périphérie) et non-géométriques (symboliques ou fonctionnelles).

Corpus d'étude :

La présente recherche considère cinq mosquées Aghlabides : i) Grande mosquée de Kairouan, ii) Mosquée Zaitouna, iii) Grande mosquée de Sousse, iv) Mosquée Bouftata (Sousse), et v) Mosquée des trois portes (Kairouan). Un sixième cas d'étude, contemporain des mosquées Aghlabide mais situé à l'Est de la Tunisie a été pris en considération dans un objectif de comparaison. Il s'agit de la Mosquée d'Ibn Touloun au Caire (**Fig. 03**). La présentation de ce corpus d'étude sera focalisée essentiellement sur les percements au niveau des salles de prière. Cependant, il serait incontournable de justifier, au préalable, la non-prise en compte de la Grande mosquée de Sfax, de fondation aghlabide, au sein de ce corpus.





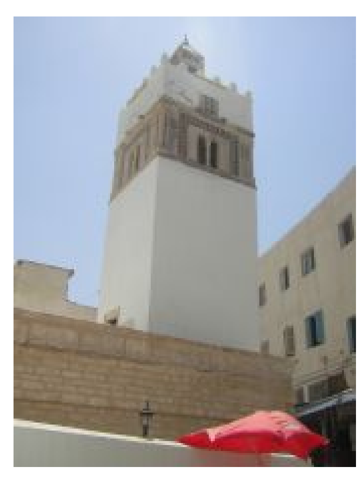
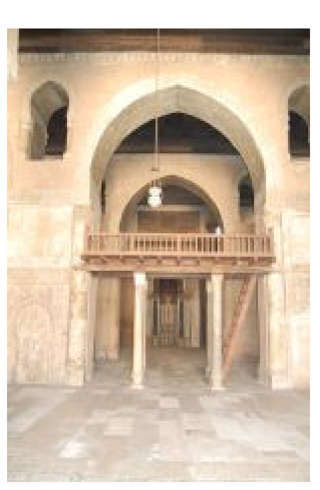



Fig. 03 : Vues des mosquées constituant le corpus d'étude : En haut de gauche à droite : Grande mosquée de Kairouan, Mosquée Zaitouna (Tunis), Grande mosquée de Sousse ; en bas de gauche à droite : Mosquée des trois portes (Kairouan), Mosquée Bouftata (Sousse) (Source : Auteur), Mosquée Ibn Touloun (Le Caire) (Source : Julie Bonnéric).

Grande mosquée de Sfax :

La mosquée de Sfax a connu plusieurs remaniements tout au long de son existence. La mosquée édifiée en 849 par un Cadi durant le règne des Aghlabides a été ruinée et diminuée de quatre de ses nefs du coté Ouest. Dans la partie Est, une nouvelle mosquée fut insérée en 988 présentant un nouvel ordonnancement architectural; un embellissement de la façade Est fut réalisé en 1085 et enfin une restauration menée durant la période Ottomane[14]. Devant cet état de fait, il serait délicat de se prononcer sur la morphologie de cette mosquée, et surtout au sujet de ses percements datant de la période Aghlabide. Les restitutions suggérées par G. Marçais et L. Golvin (1960), quoique demeurant notables, font l'objet de certaines critiques[15].

Ces restitutions indiquent que la salle de prière était constituée au départ de neufs nefs et trois travées, largement ouverte sur une cour rectangulaire, fidèle donc au modèle Aghlabide tel qu'il se présente au niveau de ses consœurs de Kairouan et Tunis. Ensuite, la mosquée a connu une extension similairement aux mosquées de Sousse et de Monastir[16]. Plus tard mais toujours durant la période Aghlabide, la salle de prière comportera neuf nefs et six travées[17]. En ce qui concerne les percements,

---

[14] - BOUCHOUCHA, M., 1973, Mosquées de Tunisie, Tunis: Maison Tunisienne de l'Edition.; MARÇAIS, G., 1954, L'architecture musulmane d'occident, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Paris : Arts et métiers graphiques.

[15] - DARGHOUTH, S., 2007, « Quelques observations sur la grande mosquée de Sfax», in Africa, XXI, pp. 179-186.

[16] - MARÇAIS, G. ; GOLVIN, L., 1960, La Grande Mosquée de Sfax, Tunis : Imprimerie la Rapide.

[17] - MARÇAIS, G., 1954, Op. Cit.

G. Marçais et L. Golvin soulignent que les portes actuelles sur la face Est sont aux mêmes emplacements que durant la période aghlabide. Les percements situés dans les autres murs ne le sont pas nécessairement et ne peuvent être donc attribués avec certitude à l'édifice Aghlabide. Sur le terrain, d'autre part, des percements se présentent sous des formes variées et parfois totalement différentes de ce qui se rencontre dans le reste des mosquées Aghlabides (**Fig. 04**). A cet effet, cet édifice n'a pas fait partie du corpus d'étude de cette recherche.





Fig. 04 : Différentes fenêtres dans la Grande mosquée de Sfax (Source : Auteur).

Grande mosquée de Kairouan :

Première mosquée de l'occident musulman, elle fut entièrement reconstruite par le Prince Aghlabide Ziaydat Allah et ensuite agrandie en 862 et 875[18]. De forme presque rectangulaire, la mosquée enserre une salle de prière et une cour bordée de galerie double sur les cotés Est et Ouest. La galerie Nord comporte une seule rangée d'arcades. La salle de prière est composée de dix-sept nefs et de sept travées auxquelles s'ajoute une galerie bordant la cour. La travée du Mihrab et la nef axiale se distinguent par leurs largeurs plus importantes que leurs similaires. Les murs latéraux de la salle de prière sont percés par de hautes baies avec écrans ajourées colorés au niveau de la travée du Mihrab. Au-dessus de ce dernier et au niveau de la coupole le surplombant existent des percements pourvus aussi d'écrans ajourées colorés.

Mosquée Zaitouna :

La mosquée Zaitouna fut entièrement reconstruite entre 853 et 856 et ce durant le règne du Prince Aghlabide Abou Ibrahim Ahmed[19]. La salle de prière s'ouvre sur une cour entourée sur les quatre cotés d'une galerie à simple rangée d'arcades. Le mur Est est percé de portes donnant sur une galerie et d'une baie haute, avec écran ajouré, au niveau de la travée du mur de la Quibla. Au dessus du Mihrab, est percée une baie en plus de celles de la coupole le précédant.

Grande Mosquée de Sousse :

La grande mosquée de Sousse a été initialement construite par le Prince Aghlabide Abou Al-Abbas en 850 et fut agrandie vers la fin du X^{ème} siècle[20]. La salle de prière est mitoyenne d'une cour

---

[18] - DEREK, H. ; GOLVIN, L., 1976, Islamic Architecture in North Africa, London: Faber and Faber. ; GOLVIN, L., 1966, « Note sur les coupoles de la grande mosquée Al-Zaytouna de Tunis », in Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, 2, pp. 95-109.

[19] - DEREK, H. ; GOLVIN, L., 1976, Op. Cit. ; GOLVIN, L., 1968, Quelques réflexions sur la grande mosquée de Kairouan à la période des Aghlabides, in Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, 5, pp. 69-77. ; GOLVIN, L., 1966, Op. Cit.

[20] - DEREK, H. ; GOLVIN, L., 1976, Op. Cit. ; BOUCHOUCHA, M., 1973, Op. Cit.

de forme rectangulaire également ; elle est composée de six travées et de treize nefs. La cour est bordée de galeries d'une seule rangée d'arcades. Le mur de la Quibla est percé de hautes baies. Les murs latéraux de cette salle ne comprennent qu'une porte chacun. La première coupole du Mihrab et la deuxième sont percées à la base.

Mosquée Bouftata :

De petite surface, la mosquée est située dans la ville de Sousse. Elle fut bâtie entre 838 et 841 sous le règne du Prince Aghlabide Abou Iqal[21]. La salle de prière n'est pas précédée d'une cour ; une galerie narthex longe le mur antérieur. Trois travées et trois nefs composent cette salle de prière. Le mur de la Quibla est percé de trois hautes baies et une quatrième est située sur le mur Ouest au niveau de la travée du mur de la Quibla.

Mosquée trois portes :

La petite mosquée des trois portes fut bâtie par Mohamed ben Khairouan El Maafiri, un originaire de Cordoue, en 866[22]. Mosquée sans cour, elle enserre une salle de prière, de trois travées et trois nefs, et s'ouvre directement, par trois portes, sur la rue.

Mosquée Ibn Touloun :

La mosquée d'Ibn Touloun fut édifiée au Caire, de 876 à 878, par le prince Abou Abbas Ahmed Ibn Toulon[23]. De forme presque carrée, la mosquée est organisée autour d'une cour centrale et entourée d'une cour excepté du coté de la Quibla. La salle de prière se compose de cinq travées parallèles au mur de la Quibla et de dix-sept nefs. La cour centrale est entourée de galeries à double rangée. La salle de prière s'ouvre donc largement sur cette cour centrale et ses murs périphériques sont dotés de hautes baies équipées d'écrans ajourés. Les portiques des travées sont percés au niveau des tympans au moyen de baies similaires à celles des murs périphériques mais sans écrans ajourés. La coupole précédant le Mihrab a été rajoutée lors de travaux réalisés au 13ème siècle et n'a pas été prise en compte comme dispositif d'éclairage naturel dans ce travail de recherche.

Composants environnementaux, urbains et architecturaux :

Le nord du Maghreb est une région caractérisée par un climat lumineux clair ensoleille fréquent pour au moins la moitié de l'année[24]. L'Egypte n'en diffère pas trop en matière de gisement lumineux[25]. Le contexte climatique des mosquées du corpus d'étude est donc une région où le soleil avec ses rayons lumineux est fort présent le long de l'année. Les rayons solaires constituent ainsi une source primaire pour l'éclairage naturel des espaces architecturaux mais dont la pénétration directe est évitée afin de réduire la surchauffe estivale au sein de ces espaces. Divers dispositifs sont utilisés en vue d'y parvenir.

En premier lieu, se révèle la compacité du tissu urbain. Le système de rues et ruelles imbriquées favorisent l'exclusion des rayons solaires directs et la multiplication de ceux réfléchis depuis les surfaces des ruelles et des façades d'en face[26] (**Fig. 05**). Pour le cas des mosquées étudiées, il est facile de constater que les mosquées Aghlabides sont entourées ou tout juste délimitées de parcours urbains permettant ce contrôle solaire et lumineux. Comme il s'avère que celle d'Ibn Touloun

---

[21] - DEREK, H. ; GOLVIN, L., 1976, Ibid. ; BOUCHOUCHA, M., 1973, Ibid.

[22] - DEREK, H. ; GOLVIN, L., 1976, Ibid. ; BOUCHOUCHA, M., 1973, Ibid.

[23] - FATTAL, A., 1960, La Mosquée d'Ibn Touloun au Caire, Beyrouth: Imprimerie Catholique. ; ABD EL-WAHAB, H., 1940, « L'architecture islamique », in Majallat al-Imarah II, 2, pp. 105-112. ; WILLIAMS, R., 1918, «The mosque of Ibn Tulun», in The Moslem World, VIII, 3, pp. 221-234.

[24] - BELAKEHAL, A.; TABET AOUL, K., 2003, « L'éclairage naturel dans le bâtiment, Référence aux milieux à climat chaud et sec», in Courrier du Savoir Scientifique et Technique, 4, pp. 03-13.

[25] - AL-MAIYAH, S.; ELKADI, H., 2007, « The role of daylight in preserving identities in heritage context», in Renewable and Sustainable Energy Reviews, 11, pp. 1544-1557.

[26] - BELAKEHAL, A.; TABET AOUL, K., 2003, Op. Cit.

incorpore un dispositif similaire au sein de l'édifice même. Effectivement, une cour périphérique entoure la salle de prière et la cour intérieure de la mosquée accentuant ainsi la quantité de rayons réfléchis envers une salle de prière dont l'enveloppe est soigneusement traitée en matière de percements.





Fig. 05 : Vue du contexte urbain de la Grande mosquée de Sousse montrant la compacité du tissu urbain immédiat (Source : Auteur) et vue aérienne de la mosquée d'Ibn Toulon montrant les cours additives entourant l'édifice principal de la mosquée (Source : Google Earth).

La cour centrale (Sahn) se présente aussi comme un dispositif assurant l'approvisionnement majeur en éclairage naturel pour les mosquées Aghlabides et Toulounide. Dans les premières, les cours sont de forme rectangulaire parallèle à la salle de prière tandis que dans celle d'Ibn Touloun elle est de forme carrée. S'ouvrant largement sur ces cours, les salles de prière reçoivent simultanément un éclairage naturel direct au niveau des travées qui sont limitrophes à la cour et réfléchi par le sol de la cour vers celles plus profondes. Les galeries périphériques à la cour atténuent l'éblouissement pour les prieurs se dirigeant vers la cour ou qui y sont (**Fig. 06**).

Localisés au niveau de l'enveloppe extérieure de la salle de prière, les accès lui permettent un accès des rayons lumineux réfléchis en profondeur. Ils forment les percements les plus importants en dimensions mais demeurent réduits en nombre. L'éclairage naturel des salles de prière est aussi assuré par les fenêtres hautes situées essentiellement au niveau de la travée du mur de la Quibla. Ces fenêtres sont plus hautes que larges et sont parfois pourvues d'écrans ajourés en bois pour le cas des mosquées Aghlabides.

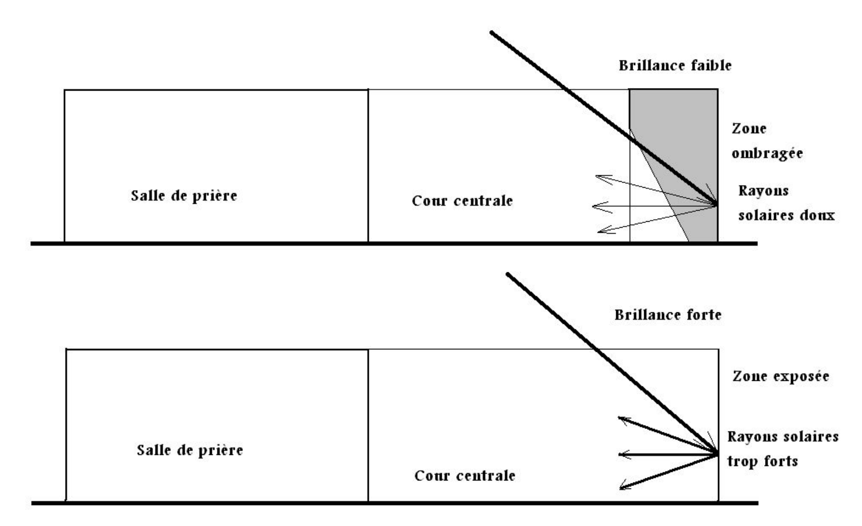


Fig. 06 : Coupes schématiques montrant la contribution des galeries périphériques dans la maitrise de l'environnement lumineux de la cour de la mosquée (Source : Auteur).

Dans la mosquée d'Ibn Touloun, les fenêtres hautes, au nombre de cent-trente, sont munies d'écrans ajourés en gypse permettant de filtrer les rayons lumineux et de créer de forts effets lumineux. Cette mosquée se distingue de celles Aghlabides par les percements au niveau des tympans des portiques. Ces baies sont situées dans le même alignement et ce depuis le portique donnant sur la cour jusqu'aux hautes fenêtres sur le mur de la Quibla. Elles assurent en plus de l'éclairage naturel, un allégement de la charge du portique et une décoration pour la salle de prière[27] (**Fig. 7**).



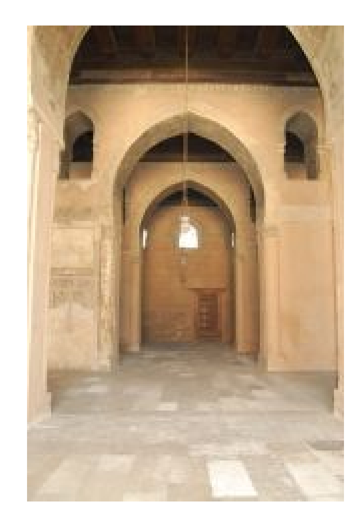


Fig. 07 : Vues intérieures montrant les hautes fenêtres dans la Grande mosquée de Sousse (Source : Auteur) et aussi des tympans dans la mosquée d'Ibn Toulon (Source : Julie Bonnéric).

[27] - WILLIAMS, R., 1918, «The mosque of Ibn Tulun», in The Moslem World, VIII, 3, pp. 221-234.

Les mosquées Aghlabides se distinguent par ailleurs par la coupole avant le Mihrab qui fait figure absente dans la mosquée originelle d'Ibn Touloun. Cette coupole est percée à sa base et permet une admission indirecte de la lumière naturelle vers la zone du Mihrab (**Fig. 8**). Par ailleurs, les surfaces des murs intérieurs des salles de prière du corpus n'ont de revêtement que le matériau de construction même. Les enduits en couleur blanche ne sont que des rajouts ultérieurs. La couleur moyennement claire des murs des salles de prière permet une réflexion non-éblouissante des rayons lumineux reçus depuis la cour. Les planchers varient en termes de couleurs. Dans les mosquées d'Ibn Touloun, Kairouan et la Zaitouna, les planchers en bois de couleur foncée sont luisants. Par contre, dans les mosquées de Sousse, Bouftata et des trois portes les toitures voutées sont de couleur claire mais sont aussi rugueuses et donc moins luisantes.




Fig. 08 : Vues intérieure de la mosquée Zaitouna (Tunis) et extérieure de la Grande mosquée de Sousse montrant la coupole précédant le Mihrab (Source : Auteur).

Typologies et topologies lumineuses :

Dans ce corpus de mosquées Aghlabides, deux types d'éclairage naturel sont présents (**Fig. 09**) : i) un éclairage latéral que l'on rencontre aussi dan la mosquée d'Ibn Touloun que concrétisent les fenêtres hautes, ii) un éclairage zénithal, en l'occurrence la coupole du Mihrab, et dont la présence est limitée aux mosquées aghlabides. A ceux-ci un éclairage de type double latéral-zénithal est matérialisé par la cour.

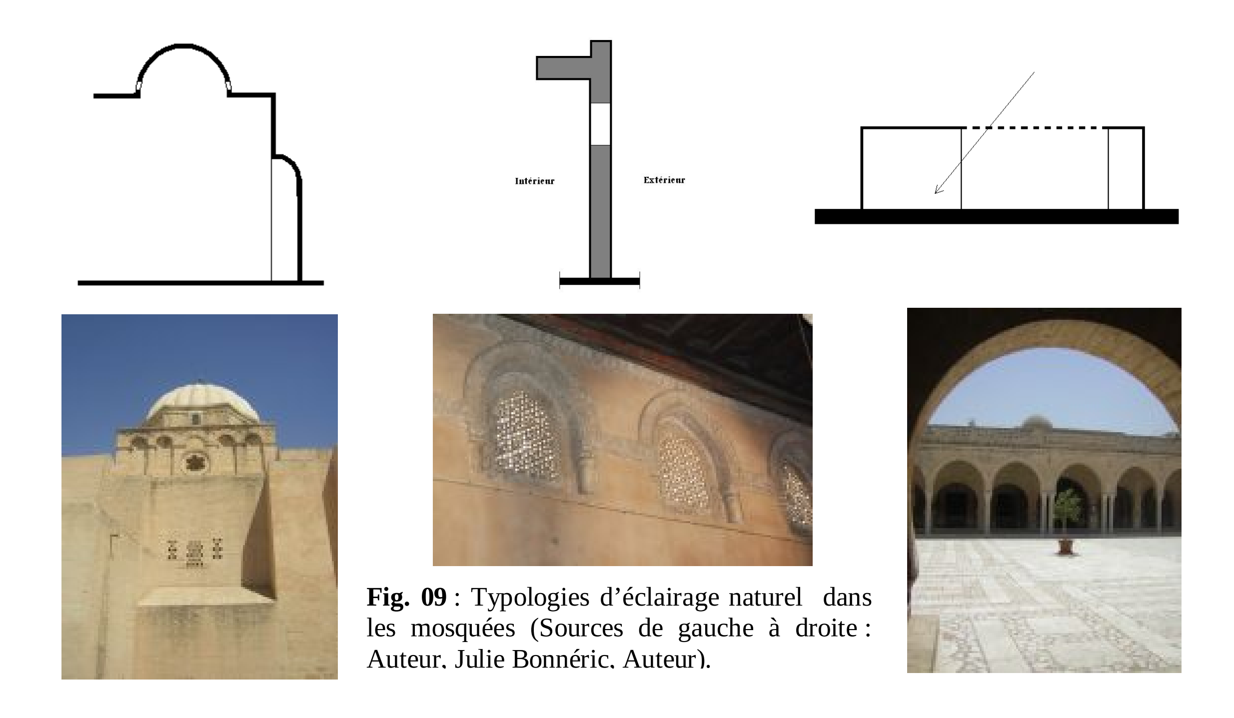


Fig. 09 : Typologies d'éclairage naturel dans les mosquées (Sources de gauche à droite : Auteur, Julie Bonnéric, Auteur).

Aussi, la salle de prière enserre certaines topologies lumineuses dont la première est à caractère directionnel. En effet, la direction de la Quibla est doublement signalée par : i) la coupole précédant le Mihrab dans les mosquées Aghlabides, et ii) les fenêtres hautes du mur de la Quibla simplement présentes dans les mosquées Aghlabides mais majestueusement mises en valeur dans la mosquée Ibn Toulon. La coupole du Mihrab occasionne ainsi un environnement lumineux créateur d'un pôle symbolique alors que les fenêtres hautes du mur de la Quibla affichent une axialité directionnelle lumineuse.

Vue globalement, la salle de prière manifeste aussi une stratification lumineuse graduelle dans sa profondeur. L'environnement lumineux y décroit en allant de la cour vers le mur de la Quibla pour s'élever, mais moyennement, en arrivant à ce dernier (**Fig. 10**). Singulièrement, la cour est le centre lumineux sans rival dans la mosquée. La présence de galeries périphériques accentue davantage cette centralité lumineuse en mettant en contraste l'éclat des surfaces horizontales et verticales de la cour et la pénombre dans laquelle baignent celles des galeries.

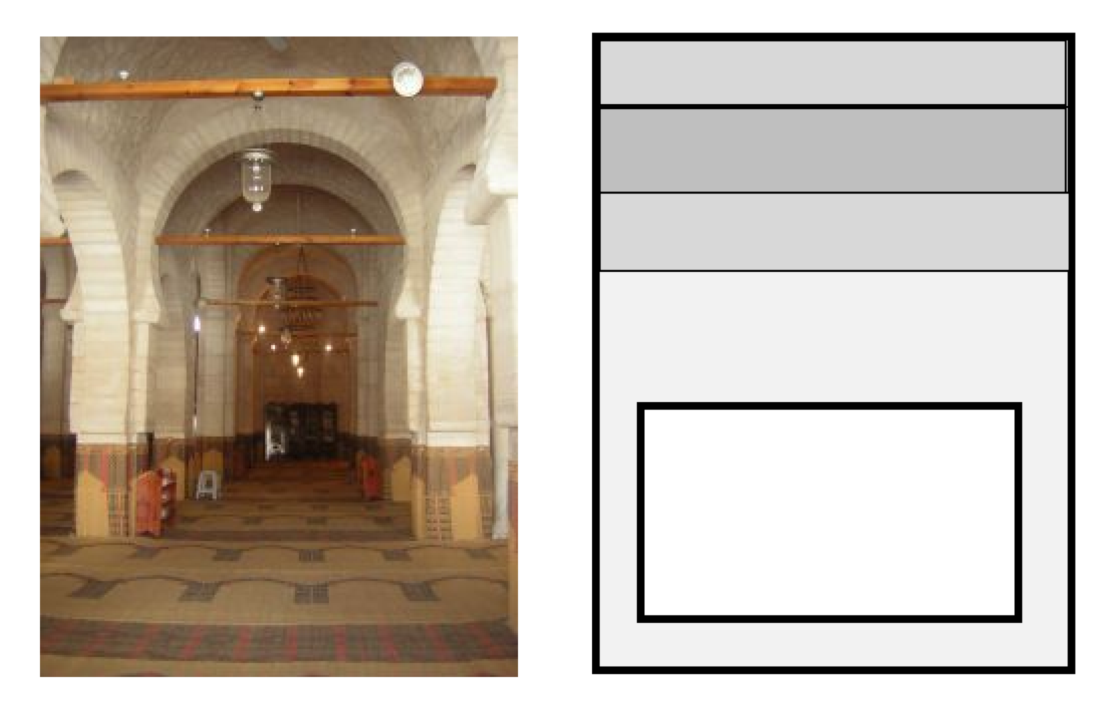


Fig. 10 : Vue intérieure et vue en plan schématique montrant la stratification graduelle lumineuse de la salle de prière (Source : Auteur)

Survie d’un modèle :

Au cours des dynasties qui succédèrent aux Aghlabides, ces différents caractères ambiantaux lumineux ont le plus souvent survécu en dépit de certains changements stylistiques. La cour a gardé son rôle de centre lumineux jusqu'à l’arrivée des dynasties Hafsides et surtout des Ottomans où elle a constitué plutôt une périphérie lumineuse. La coupole du Mihrab a maintenu elle aussi son rôle de pôle lumineux symbolique et ce à travers le territoire maghrébin jusqu'à l’avènement des Alaouites au Maroc où la travée précédant le Mihrab devient sans coupole. Si les fenêtres hautes ont continué de jouer leurs rôles ambiantal lumineux, elles se retrouveront désormais associées aux fenêtres basses, plus larges, apparues après l’arrivée des Ottomans au Maghreb. La stratification lumineuse graduelle de la salle de prière s’est vue aussi concurrencée par un centre lumineux dont l’origine est le dôme central apparu lui aussi avec l’avènement des Ottomans.

Conclusion :

Cette recherche a jeté un nouveau regard sur un corpus appartenant bel et bien à l’architecture islamique, en l’occurrence celle de la période Aghlabide. Elle a en effet examiné les manifestations conformationnelles de la lumière naturelle dans les mosquées Aghlabides en Tunisie et une mosquée Toulounide en Egypte, et ce au moyen d’une approche ambiantale partiellement limitée à l’association de la caractérisation typologique à celle topologique.

Les résultats obtenus attestent l’existence de caractères architecturaux relevant des dimensions ambiantales dans l’architecture religieuse Aghlabide. En se basant sur le recours à des dispositifs architecturaux aux simples stratégies d’éclairage naturel, c’est la cohérence de l’ensemble qui alloue le succès en matière d’ambiances lumineuses.

Perpétuant des modèles préexistants dans le monde musulman, de l’architecture Aghlabide se croisait harmonieusement avec ceux de son époque sur le plan ambiantal et a pu survivre malgré les différentes influences qui lui ont succédé jusqu’à l’avènement des Ottomans et des Alaouites au Maghreb.

Reconnaissance :

Cette étude a été réalisée dans le cadre d’une bourse de recherche octroyée par l’American Institute for Maghrib Studies (AIMS). L’auteur tient aussi à remercier Julie Bonnéric pour l’avoir autorisé à publier les photos de la mosquée d’Ibn Touloun.

La restitution 3D : outil de conservation et valorisation du patrimoine culturel bâti

Ala BELOUAAR[1]

Aujourd'hui, il est très difficile d'imaginer ce qu'était un ensemble architectural sans avoir recours à l'image.

Alors, En architecture et archéologie, la vue 3D s'avère très utile à la conception d'illustration pédagogique et esthétique destinées à la valorisation des sites, monuments et objets de valeurs patrimoniales auprès du grand public, cette démarche de restitution numérique peut être également un outil essentiel à l'approfondissement de la réflexion des chercheurs, et un outil important pour répondre à les questions sans réponses et même de fonder des nouvelles pistes et hypothèses.

Nous voulons ici évoquer les principes fondamentaux pour une restitution numérique réussite, et démontrer l'intérêt et l'importance de reconstruire virtuellement ces mondes disparus afin d'offrir une nouvelle vision du patrimoine.

1-La définition de la restitution 3D:

Le mot restituer exprime avant tout l'idée de rendre. Il s'agit, en ce qui concerne notre sujet, de redonner l'idée de l'aspect d'un édifice ancien. La restitution est, fondamentalement, la reconstitution d'une image: celle que l'édifice ou le site étudiés devaient avoir à un moment ou à un, autre de leur histoire[2].

2-Evolution de l'usage de la restitution:

Les origines de restitution reviennent au XVe siècle à Rome, la pratique consistant à restituer des parties abîmées ou disparues de bâtiments historiques, l'objectif n'était alors pas la conservation du patrimoine, mais souvent pour sa réutilisation à des fins privées. Dans quelques cas, ces restaurations ont même comporté la destruction d'autres monuments anciens[3].

---

[1] - Architecte des biens culturels immobiliers, au sein du Centre algérien du patrimoine culturel bâti en terre, Timimoun. Email : alaeddine1990@yahoo.fr

[2]- GOLVIN, J.-C., 2003, “Restitution Issue in Archaeology of Ancient Towns”, in Actes du colloque Virtual Retrospect, Bordeaux, pp. 39-43.

[3]- SANTACANA I MESTRE, J. ; CARME BELARTE FRANCO, M., 2011, «Problèmes généraux concernant la restitution en archéologie », In De la restitution en archéologie, Centre des monuments nationaux, Editions du Patrimoine, pp. 09–15.

2-1. Premiers travaux de restitution : travaux ludique et sentimental :

Basées sur des critères plus esthétiques et conjecturaux que pédagogiques, des restitutions graphiques reviennent à la fin du Moyen-âge et à la Renaissance. Elle naît à partir du moment où les artistes ont cherché à évoquer selon un idéal imaginaire des édifices ou des villes dans des formes ayant appartenu à des périodes antérieures, voire bibliques (**Fig. 01**)[4].



Fig. 01: La tour de Babel reconstituée par P. BRUEGEL au XVIe siècle. (MOHEN, 1999, p. 10).

A l'aube du XIXe siècle, l'époque des grandes explorations archéologiques voit les premiers savants, archéologues ou architectes, s'appliquer à décrire, mesurer, étudier, dessiner et surtout restituer des vestiges architecturaux tels qu'ils pouvaient être au temps de leur rayonnement (**Fig. 02**)[5] et (**Fig. 03**) [6].



Fig. 02 : Planche, réalisée à l'occasion de l'Expédition d'Égypte, dépeignant un édifice de Philae selon un état restauré conjectural. (RUSSEL, 2001, vol. I, 2001, pl. 28).



Fig. 03 : Restitution graphique du Nimrud, le site d'un ancien palais assyrien, par James FERGUSSON pour Sir Henry LAYARD, publié en 1853.

2-2. restitutions scientifiques :

Au 20eme siècle, les restitutions ont devenu moins conjecturales et basée sur des données archéologiques réelles qui sont devenus disponibles en raison de l'augmentation des fouilles.

Aujourd'hui, nous ne pouvons pas seulement regarder les reconstructions, nous pouvons les expérimenter en tant que modèles physiques de grandeur nature ou des simulations virtuelles comme immersifs.

[4]- MOHEN, J.-P, 1999, Les sciences du patrimoine : identifier, conserver, restaurer, Paris.
[5]- SELMALI, A, Moyens Informatiques de restitution en archéologie monumentale : Cas du temple de Karnak, Thèse de doctorat : Aménagement, Montréal : Université de Montréal.
[6]- SEBASTIAN HAGENEUER, M.A, 2014, Archaeological Reconstructions, openeditionsbooks.

Première restitution basée sur les recherches[7] **archéologiques, architecturales et informatiques (Fig. 04).**



Fig. 04 : Le temple d'Amon-Rê à Karnak, 1989, mission franco-égyptienne et EDF. Captures d'écran, in Les Dossiers d'archéologie, 1990, 113, pp. 8, 13. A gauche, restitution d'ensemble en filaire d'une des quinze grandes périodes d'évolution du site. A droite évocation de la vie du temple.

3-Méthodologie de la restitution :

Pour réaliser une restitution justifier scientifiquement on s'appuie sur une analyse des sources disponible dans chaque site ou monument archéologique dans trois situations sont possibles : les données sont, soit connues, soit cachées, soit perdues. C'est ce qu'on appelle l'analyse des sources primaire[8].

Cela n'est pas suffisant pour aboutir une analyse des sources car les sources primaires ont toujours un manque d'informations liées aux données cachés ou détruites .donc il est impératif de faire recours aux ce que on appelle des sources secondaire des analogues architecturaux, des représentations et des légendes anciens.

Car pour tenter de compléter l'image du site lorsque les données archéologiques manquent, consiste à réaliser une construction théorique fondée sur l'étude d'exemples parallèles adéquats, mieux conservés que l'exemple étudié, mais qui peuvent lui être comparés sur le plan typologique et chronologique. Une telle construction est, par définition, symbolique. En effet, elle consiste à choisir, à partir de plusieurs exemples, les solutions qui ont le plus de chance de s'appliquer au cas étudié. C'est ce qu'on appelle l'analyse des sources secondaire[9].

En fin on utilise les résultats de cette analyse des sources primaire et secondaire pour compléter et d'affiner les hypothèses interprétatives nécessaires à l'établissement d'un modèle de restitution qu'a une vraisemblance de site réel dans une moment ou autre de son histoire basé sur des recherches et preuves scientifiques (**Fig. 5**).

[7]- DE BIDERAN, Jessica Fèvres, 2012, « Premier aperçu de l'histoire des images de synthèses patrimoniale retour sur quelques expériences de restitution infographique », in Journée d'étude «La visualisation architecturale et patrimoniale», open éditions books.
[8]- GOLVIN, J.-C., 2003.
[9]- Ibid.

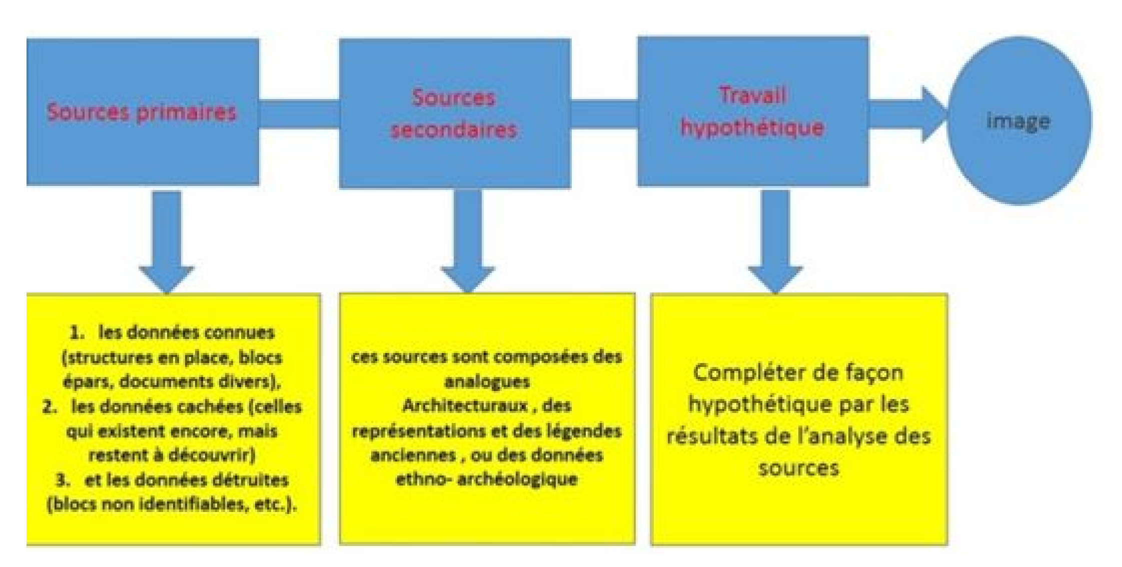


Fig. 05 : source auteur

Conclusion :

Aujourd'hui, la restitution correspond davantage à un travail d'illustration accompagnant une recherche, première étape d'une démarche qui attend toujours un raisonnement méthodologique et une abstraction théorique.

En facilitant la publication et en permettant de faire revivre certains sites, que des visiteurs, des étudiants ou d'autres personnes ont parfois des difficultés à appréhender, les restitutions graphiques facilitent la diffusion des connaissances et demeurent un outil pédagogique appréciable.

التوصيات

توصيات الملتقى الوطني الاول حول التراث بمنطقة الزيبان، هي:

1. السعي الى تنسيق الجهود بين المؤسسات المعنية بالثقافة والمجتمع المدني ممثلا في الجمعيات من اجل وضع خطة لتوثيق وارشفة مختلف مظاهر التراث الثقافي والحضاري والطبيعي في منطقة الزيبان.
2. وضع دليل بيبلوغرافي لجمع المؤلفات التي اهتمت بالتراث في منطقة الزيبان.
3. تشكيل اطلس للتراث الثقافي يحدد المواقع التي توجد فيها مظاهر التراث المادي واللامادي والطبيعي عن طريق الوسائل التقنية الرقمية.
4. العمل على ترقية جمعية "**تراث الاجيال**" الى جمعية ولائية والقيام بالإجراءات المطلوبة.
5. توسيع دائرة المشاركين من مختلف التخصصات التي لها علاقة بتراث المنطقة.
6. طبع اعمال الملتقى الوطني الاول حول التراث بمنطقة الزيبان ونشر ملخصات اعمال الملتقى في الانترنت.
7. خلق مركز وطني للتراث المادي واللامادي.
8. ترسيم الملتقى كل سنة.
9. يفتح موضوع الملتقى الثاني للتراث بمنطقة الزيبان حول: "**منطقة تهودة وضواحيها دراسة اثرية، وتاريخية، واجتماعية، وسياسية، واقتصادية**".
10. ضبط خريطة اثرية وسياحية لمنطقة الزيبان وانجاز دليل اثري وسياحي مختص.
11. فتح حفريات اثرية بالقصبات "جيميلاي" و"بادس"، مع مواصلة الحفريات في تهودة، للتعريف بالتراث والحفاظ عليه.
12. تثمين المواقع الاثرية بالمنطقة من خلال اطلاق عمليات الجرد وحماية المواقع التاريخية واعطائها حقها في الاعلام.
13. تقديم يد العون للباحثين خاصة اثناء الحفريات المبرمجة.

14. العمل على تصنيف المواقع الاثرية كتراث وطني بالتنسيق مع مديرية الثقافة.

15. انشاء متحف للأثار والتراث بولاية بسكرة، ومتاحف خاصة بالمواقع الاثرية المحمية كموقع تهودة وموقع بادس وموقع القصبات "جيميلاي".

16. خلق مصلحة خاصة في كل بلدية من بلديات ولاية بسكرة للبحث عن التراث المحلي لكل بلدية بمنطقة الزيبان، وانجاز مونوغرافيا خاصة بها.

الفهرس

كلمة رئيس جمعية " تراث الأجيال"

كلمة رئيس الملتقى

كلمة الأمين الولائي للمجاهدين لولاية بسكرة

تقديم الملتقى

المحور الاول: التراث اللامادي في المنطقة.

تجربتي في جمع وبحث التراث اللامادي في منطقة الزيبان 02

عبد الحميد بورايو، استاذ التعليم العالي/المركز الجامعي تيبازة.

المحور الثاني: اهم الشخصيات التاريخية في المنطقة.

بسكرة عروس الزيبان 08

حبة ربيعة العدوية، رئيسة مصلحة التراث الثقافي/مديرية الثقافة لولاية بسكرة.

المحور الثالث: دراسات تاريخية حول المنطقة.

التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي 12

علاوة عمارة، استاذ التعليم العالي/ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة.

المحور الرابع: الوضع الحالي لمتاحف المنطقة.

دور السكان في حماية التراث المادي ، نماذج من مواقع اثرية بالزيبان 23

السعيد تريعة، استاذ مساعد "أ"/جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف.

المحور الخامس: دراسات حول المعالم الاثرية والتاريخية في المواقع المحمية وغير المحمية.

مكتشفات موقع تهودة الاثري 33

ياسين رابح حاجي، ورياض دحمان، وفتحي ريحان، وامال بودر /معهد الاثار –جامعة الجزائر2.

مكتشفات العملات النقدية القديمة ببسكرة 48

رابح إسعون، استاذ مساعد "أ"/جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف.

المحور السادس: صيانة وترميم المواقع الاثرية والتاريخية.

Lumière et architecture dans les mosquées de la période aghlabide............................ 57

Azeddine BELAKEHAL, Professeur/ dépt. d'architecture -Université de Biskra

La restitution 3D : outil de conservation et valorisation du patrimoine culturel bâti

Ala BELOUAAR, Centre algérien du patrimoine culturel bâti en terre, Timimoun...................... 69

التوصيات 73